سلسلة شروح فضيلة الشيخ

شرح

الأرجوزة المئية

في ذكر حال أشرف البرية

للعلامة ابن أبي العز الحنفي

المتوفى سنة ٧٩٢ هـ

لفضيلة الشيخ الدكتور

محمد هشام طاهري

حفظه الله ورعاه

خدمة دروس الشيخ

ملاحظة: الشيخ لم يراجع التفريغ

رابط الدرس مرئي

PPOCDfg&l٣https: / /www.youtube.com /watch?v=DzD

١l&index=٧Ey١WLFx-qGquTCYziQxJnPGsO٨ist=PLcHCz

(المجلس الأول)

الحمد لله رب العالمِين، نحمده -سُبْحَانَهُ- وليُّ الصالحِين المُتَّقِين، وأشهد أن لا إله إلَّا الله وحده لا شريك له المبعوث رحمةً للعالمِين صلَّى الله عليه وعلى آله وصحبه الغُرِّ الميامِين وعلى مَن تَبِعَهم بإحسانٍ إلى يوم الدِّين. وبعد...

فنحمد الله تَبَارَكَ وَتَعَالَىٰ على ما من به علينا وعليكم من هذا اللقاء في مدارسة ومُذاكرة [**الأُرْجُوزَة الْمِيئِيَّة فِي ذِكْرِ حَالِ أَشْرَفِ الْبَرِيَّةِ**] للعلَّامة ابن أبي العِز الحنفي رَحِمَهُ ٱللَّهُ تعالى؛ هذا العالِم المعروف بعِلمه، والمعروف بمكانته العلميَّة، وامتحانه حيث امتُحِنَ رَحِمَهُ ٱللَّهُ تعالى في حياته، حتى إنَّه سُجِنَ وقِيل: إنَّه ما أُوذِيَ أحدٌ ممَّن كان في عصره مثله رَحِمَهُ ٱللَّهُ تعالى.

والمسلم بحاجة إلى معرفة شيءٍ من السِّيرة النبويَّة -على صاحبها أفضَلُ الصَّلاةِ وأزكَى التسلِيم- مُدارسةً ومذاكرةً وحِفظًا.

وقد يحفظ بعض الناس في السِّيرة الأحادِيث، وهي لا شكَّ أحادِيث السِّيرة محدودة ومحفوظة.

وقد يحفظ بعض الناس التوارِيخ من كُتُب السِّيَر والإخباريِّين.

وقبل أن نبدأ في ذِكر وبيان هذه الأُرجوزة والتعليق عليها أحبُّ أن أُنبِّه على عِدَّة أمور:

➢ **الأمر الأول**: أنَّ سِيرة النبي عَلَيْهِ ٱلصَّلَاةُ وَٱلسَّلَامُ وتأريخه سِيرةٌ مُشرِفة، وتاريخٌ نقِيٌّ جلِي، واضحٌ للعيان أوضَح من ظهور الشمس، ولم يُنقَل في التاريخ سِيرة أحدٍ وتاريخ أحدٍ مثل ما نُقِلَ من سِيرته عَلَيْهِ ٱلصَّلَاةُ وَٱلسَّلَامُ؛ حتى إنَّ المُؤرِّخِين كانوا يُبيِّنون كيفية جلوسه وقِيامه وقعوده ولبسه، بل وكلَّ صغيرةٍ وكبيرةٍ ممَّا يخطُر على البال أو لا يخطُر على البال.

➢ وهذا يدلُّنا -أيُّها الإخوة- إلى أنَّ السِّيرة النبويَّة هي ترجمة العمليَّة للكتاب والسُّنَّة، **وهذه هي النُّقطة الثانية**: أنَّ الإنسان إذا أراد أن يعرف الترجمة العملية للآيات والأحادِيث التي فيها العفو والصَّفح، أو الآيات والأحادِيث التي فيها القِتال، الآيات والأحادِيث التي فيها التعامُل مع الأحباب ومع الإخوان ومع الأصحاب، والآيات والأحادِيث التي فيها التعامُل مع الأعداء ومع المنافقِين؛ فما عليه إلَّا أن ينظُر في السِّيرة النبويَّة على صاحِبها أفضل الصلاة وأزكَى التسليم.

➢ **الأمر الثالث**: أنَّ هذه السِّيرة النبويَّة لا شك أنَّها من حيث الجُملة قد اعتنَى بها السلف فنقلُوها بالروايات والأسانِيد، وسار على هذا المنوال جميع الأخباريِّين والإخباريِّين لا سيَّما ابتداءً من الزُّبَيْر، وابن بكَّار وغيره، الزُّبَيْرِي، وكذلك صاحب [**تاريخ المدينة**] ابن أبي شبَّة وغيره، ومَن بعده من العلماء كالبُخاري ومسلم وأبي داود وأصحاب الكُتب، ومَن أرَّخَ مستقِلًّا كابن هشام وغيرهم؛ فإنَّهم يذكرون الأسانيد الواردة في الأخبار، ولا شك أنَّهم بهذا قد وافقوا وجارَوْا المُحدِّثِين في نَقْلهم لأحادِيث رسول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ.

➢ ولكن لِنَعلم -**وهذا هو الأمر الرابع**- أنَّ السلف الصالح -وهذا هو منصوص الإمام أحمد وغيره من أهل العلم- ما كانوا يتشدَّدون في أحادِيث الأخبار والسِّيَر كتشدُّدهم في أحادِيث الأحكام، كتشدُّدهم فيما يُنسَب إلى الرسول صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ من الأقوال.

ولذلك كان الإمام أحمد وغيره يقول: إنَّ هناك أحادِيث لا زِمام لها، وذكَرَ من هذه الأحادِيث أحادِيث التفسير، وأحادِيث السِّيَر، وأحادِيث المغازِي، ومقصوده من ذلك: أي: لا أسانيد لها صحيحة جياد، يُعتَمَد عليها كاعتماد الإنسان على أحادِيث رسول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ؛ ولذلك نجدُ منهم التَّساهُل في هذا الباب؛ فيكفِي عندهم في هذا الباب أمران:

♦ **الأول**: الورود؛ مجرَّد ورود الخبر عندهم كافٍ، مع اعتبار الشرط الثاني، وهو: ألا يُخالِف الوارد المنصوص الصحيح الثابت في الكتاب والسُّنَّة.

فإذا كان الوارد له سند فلا يلتفتون إلى سنده هل هو سندٌ مُنقطِع، أو سندٌ مُعضَل، أو سندٌ متَّصِل؟ مجرَّد السند عندهم كافٍ في التاريخ والسِّيَر؛ لكن بشرط أن يكون هذا القول أو هذا التاريخ أو هذه السِّيرة غير مصادِمةٍ أو مُخالِفةٍ لمنصوص الكتاب والسُّنَّة.

فإن قال قائل: لماذا تساهلوا في السِّيَر؟

فالجواب: أنَّهم لو لم يتساهلوا في السِّيَر لانقطعَتْ عنَّا الأخبار كما هو حال كثيرٍ من المُعاصِرين اليوم؛ لمَّا أرادوا أن يُطبِّقوا ما اتَّفَقَ عليه علماء الحديث وعلماء السُّنَّة على أحادِيث الأحكام والعقائد؛ فإنَّهم وقَعوا في أمرٍ وهو: أنَّ التاريخ أصبح عندهم ممزَّقًا، فلو سألتهم عن كثيرٍ من الغزوات ما استطاعوا إثباتها؛ لماذا؟ لأنَّها لم تأتِ بأسانيد صحيحة.

مثلًا: لو قال لنا قائل: أثبِتوا لنا أنَّ غزوة الخندق كانت في السنة الخامسة بسندٍ صحيحٍ! هذا أمر عسير.

لو قال لنا قائل: أثبِتوا لنا أنَّ فلانا من الصحابة قُتِلَ في غزوة المُرَيْسِيع! ما استطعنا.

فلانا من الصحابة قُتِلَ في غزوة أُحُد! لَمَا استطعنا.

طيب. أين ذهب؟ ما نعرف.

في أي سنة كانت غزوة حُنَيْن؟

لذلك السلف فَهِموا هذا المغزى؛ لذلك تساهلوا في هذا الباب. هذا أمر لا بد منه لكن مع الشرط الذي هم عندهم معروف، وهذا هو الذي جعلهم يعرفون أنَّ السِّيرة والتاريخ للاعتضاد وليس للاعتماد.

فإن جاء شخصٌ ما وأراد أن يعتمدَ على مسألةٍ ما في السِّيرة والتاريخ؛ تقوا له: لا، قِف حتى تُثبتَ لنا السَّند بطريقٍ صحيح.

فإذا لم يستطع إثبات ذلك بطريقٍ صحيح فلا ينبغي أن يعتمد مجرَّد التاريخ والسِّيرة.

فإن قال قائل: لماذا لا نُغلق هذا الباب وخلاص نرتاح.

هذا الباب لا يجوز غَلْقه عقلًا ولا نقلًا:

عقلًا: لو قال لكم أنتم قائل: أثبتوا لنا أنَّ بكين هي عاصمة الصِّين بالسَّند المتَّصل! كيف تستطيعون؟

أنَّ الهند كانت موجودة في زمن الصحابة بالسَّند المتَّصل، كيف تُثبتون هذا؟

هذا الكلام لا يستقيم عقلًا أن نطلُب للأشياء التاريخيَّة الأسانيد الحديثيَّة، مجرَّد قولهم: حدَّثنا فلان عن فلان. من الإخباريِّين كافٍ.

وإذا كان علماء اللغة يكتفون بالشواهد اللغويَّة بالرواية ولو كانت مُعضَلة أو منقطعة حتى لا يكون هناك خندقٌ بينهم وبين الاستشهاد التاريخي باللغة؛ فنحن أَوْلَى ألا نجعل بيننا وبين تاريخ سلفنا خندقًا فارغًا لا نعرف كيفية الوصول إليه.

ولذلك أحببتُ أن أُنبِّه على هذا الأمر أنَّ هناك فَرْقًا بين الاعتماد على التاريخ والسِّيَر في الأحكام وبين الاعتضاد.

أمَّا الاعتضاد فأمره واسع.

أمَّا الاعتماد فأمره ضيِّق، كالحج.

وما الذي يحتاج إليه الإنسان من معرفة التاريخ والسِّيَر؟

هنا لا بد أن تسأل نفسك سؤالًا حينما تقرأ في التاريخ والسِّيَر: لماذا تريد أن تقرأ؟ لأنَّ الذين ألَّفوا في التاريخ والسِّيَر كلُّ واحدٍ منهم عنده منهج أرَّخَ فيه وكَتَب؛ فأنت لا بد أن تعرف ما هو مقصدكَ في قراءتك للتاريخ والسِّيَر؟

والله إذا قلتَ: مقصدِي أن أطَّلِعَ على الوقائع الغَيبية التي وقعَتْ في إثبات كرامات وفي إثبات مُعجزات النبي عَلَيْهِ ٱلصَّلَاةُ وَٱلسَّلَامُ؛ فسنقول لك: إذًا ليس لك أن تقرأ إلَّا [**دلائل النبوَّة**] للبَيْهَقِي.

إذا قال الرجُل: مقصودِي أن أقرأ الجوانب الأخلاقية، والجواني التي تكون متعلِّقة بالزُّهد والوَرَع، وكذا... وكذا... نقول: ليس لك إلَّا تقرأ في [**الحِلية**] لأبي نُعَيْم الأصفهاني.

إذا قال: والله مقصودي أن أقرأ وأعرف غزوات النبي عَلَيْهِ ٱلصَّلَاةُ وَٱلسَّلَامُ؛ فحينئذٍ نُرشده إلى مثل [**سِيرة ابن هشام**]؛ فإنَّه قد اهتمَّ اهتمامًا بليغًا بالغزوات.

هذه قضايا مهمة!

وقد أخطأ كثيرٌ من الناس المُعاصرِين اليوم حينما هَجَموا على السِّيرة فصار هذا يأخُذ من السِّيرة ما يرى أنَّه يخدُم ما هو عليه، مثل قول بعضهم بذَبْح الناس كالنِّعاج بالسِّكِّين، ويستشهدون ببعض الوقائع التاريخية والسِّيَر، ولا ينظرون ولا يلتفتون إلى ثبوتها أو عدم ثبوتها؛ توافق مذهبهم، وهذا أمر خطير.

لذلك ينبغي على طالب العلم:

أولًا: أن يقرأ السِّيرة كلِّيًّا، وألا يقرأ السِّيرة جزئيةً؛ فلا يكون أسيرًا للإخباريِّين، ولا يكون أسيرًا لمثل علماء كأبي نُعَيْم في [**الحِلية**]، وابن الجوزي وأضرابهم؛ إنَّما ينبغي أن تكون القراءة قراءة كلِّيَّة للسِّيرة النبوية على صاحبها أفضل الصلاة وأزكَى التسليم.

ومَن وصَلَ إلى هذه المرحلة فَهِمَ من السِّيرة ما ينبغي أن يُفهَم، وصار فِعلًا لا يستنبط ما يستنبطه المُعاصرون اليوم من السياسات الخاطئة؛ لأنَّها مبنيَّة على السِّيَر، منقطعة عن دلائل الكتاب والسُّنَّة، وهذا أمر خطير.

ينبغي على الإنسان أن ينظُر إلى السِّيرة بفقه وهو ما يُسمَّى بـ «فقه السِّيرة» مثلًا، وليس المقصود بـ«فقه السِّيرة» هو أنَّ الإنسان يستنبط من كل واقعةٍ تاريخيَّة لأنَّ الاستنباط من الوقائع التاريخيَّة - كما ذكرتُ- لا يصحُّ إلَّا إذا ثبَتَ أولًا؛ وإلَّا فالأصل في الوقائع التاريخيَّة مجرَّد الورود.

وأفضل وأعظم كتابٍ في التاريخ والسِّيَر هو كتاب ربِّنا تَبَارَكَ وَتَعَالَى، ثم السُّنَّة الصحيحة الثابتة؛ لماذا؟ لأنَّ الإنسان يستطيع أن يأخُذ من القرآن ومن السُّنَّة الشمول للسِّيرة النبويَّة، فيجد الأخلاق، والسِّيَر، ويجد معجزات النبي عَلَيْهِ الصَّلَاةُ وَالسَّلَامُ، ويجد الوقائع والغزوات، ويجد العفو والصَّفح، ويجد كيفية التعامُل مع المنافقين، كيفية التعامُل مع الأعداء، كيفية التعامُل في حال الصُّلح، في حال الحرب، في حال الهجرة، كل هذه الأشياء موجودة.

وإذا أراد أن يقرأ كلِّيةً حينئذٍ يُصبح جامعًا في السِّيرة.

ومع الأسف أنَّ الذين ألَّفوا في السِّيرة قد بالغوا -لا سيَّما الإخباريِّين منهم- في جَمْع كل ما رُوِي، حتَّى إنَّ بعضهم ربَّما يروِي عن رافضة فيقع في الأمور المهولة التي يعلمُ الإنسان بعقله، ولو دون النظر إلى عقله أنَّه غير معقول، مثل ما يروون أنَّ الذين قُتِلوا في معركة بين عليٍّ وبين معاوية أكثر من أربعين ألف إنسان، هذا لا أصل له.

وأنَّ الذين قُتِلوا في معركة الجمل عشرين ألف إنسان، هذا لا أصل له؛ هذا كلُّه من تأويلات الرافضة الذين يريدون أن يُدمِّروا الإسلام.

بل كانوا هُم -كما جاء في الأخبار الصحيحة- يتقاتلون في النهار، وفي الليل يتسامرون لعلَّ الله يُصلِح بينهم.

فإذًا لا بد للإنسان أن ينتبه!

وهذه [**الأُرْجُوزَةُ الْمِيئِيَّةُ فِي ذِكْرِ حَالِ أَشْرَفِ الْبَرِيَّةِ**] للعلَّامة ابن أبي العِز الحنفي رَحِمَهُ ٱللَّهُ هي أُرجوزة سَلِسة ومختصرة ومفيدة؛ ينبغي لطالب العلم أن يحفظها، وأن يُحفِّظها لأولاده؛ فنبدأ على بركة الله بتعليقٍ يسيرٍ على ما قد يكون مُبهمًا أو مُهملًا دون التعمُّق في التاريخ والسِّيَر.

المتن:

أحسن الله إليكم...

قال العلَّامة أبي الحسن علي بن أبي العِزّ الحنفي رَحِمَهُ ٱللَّهُ:

اَلْحَمْدُ للهِ الْقَدِيرِ الْبَارِي ثُمَّ صَلَاتُهُ عَلَى الْمُخْتَارِ
وَبَعْدُ هَاكَ سِيرَةَ الرَّسُولِ مَنْظُومَةً مُوجَزَةَ الْفُصُولِ
مَوْلِدُهُ فِي عَاشِرِ الْفَضِيلِ رَبِيعٍ الأَوَّلِ عَامَ الْفِيلِ
لَكِنَّمَا الْمَشْهُورُ ثَانِي عَشْرِهِ فِي يَوْمِ الاِثْنَيْنِ طُلُوعَ فَجْرِهِ
وَوَافَقَ الْعِشْرِينَ مِنْ نَيْسَانَا وَقْبَلَه حَيْنُ أَبِيهِ حَانَا

الشرح:

فقوله: (**اَلْحَمْدُ للهِ الْقَدِيرِ الْبَارِي**)؛ هكذا في بعض النُّسَخ، وهو الأصوب لأنَّ من أسماء الله (**الْقَدِير**).

وقد نبَّه العلَّامة ابن أبي العِز نفسه في شرحه لـ[**العَقِيدة الطحاويَّة**] أنَّ (الْقَدِيمَ)؛ ليس من أسماء الله عَزَّوَجَلَّ؛ فيكون هذا خطأً من النُّسَّاخ، والصواب (**الْقَدِيرِ الْبَارِي**).

والله جَلَّوَعَلَا لا يُوصَف بأنَّه (القدِيم) إلَّا عند المُتكلِّمين.

ويجوز وَصْف بعض صِفاته بـ (القَدِيم)؛ كما جاء في حديث «**أَعُوذُ بِوَجْهِكَ الْكَرِيمِ، وَسُلْطَانِكَ الْقَدِيمِ**»؛ فسُلطان الله قدِيم. هذا يجوز بالنظر إلى أنَّ كل سُلطانٍ غير سُلطانه فإنَّه ليس بقديم؛ أمَّا سُلطان الله فإنَّه قديم؛ أمَّا الله جَلَّوَعَلَا لا يُوصَف بالقِدَم إلَّا من باب الإخبار؛ ولكن يُوصَف بأنَّه (**الْقَدِيرِ الْبَارِي**).

(**ثُمَّ صَلَاتُهُ عَلَى الْمُخْتَارِ**)؛ النبي عَلَيْهِ ٱلصَّلَاةُ وَٱلسَّلَامُ من أوصافه (**الْمُخْتَارُ**)؛ لقوله جَلَّوَعَلَا: ﴿ ٱللَّهُ يَصْطَفِي مِنَ ٱلْمَلَٰٓئِكَةِ رُسُلًا وَمِنَ ٱلنَّاسِ ﴾[سورة الحج، من الآية:٧٥]، وهذا هو معنى الاختيار.

و(**الْمُخْتَارُ**)؛ اسمٌ يحتمل أن يكون مفعولًا، ويحتمل أن يكون فاعلًا؛ وهنا المقصود به اسم المفعوليَّة لأنَّ الله جَلَّوَعَلَا هو الذي اختاره واصطفاه واجتباه.

وقوله:

وَبَعْدُ هَاكَ سِيرَةَ الرَّسُولِ مَنْظُومَةً مُوجَزَةَ الْفُصُولِ

يعني: أنَّه رام الاختصار، وهذه المنظُومة على سَنن الرَّجَز.

قوله: (**مَوْلِدُهُ فِي عَاشِرِ الْفَضِيلِ**)؛ هذا هو الراجح الذي رجَّحه علي بن أبي اعِز الحنفي رَحِمَهُ ٱللَّهُ، وهو ترجيح جمعٍ من المُحقِّقين.

وقد اتَّفق العلماء أنَّه عَلَيْهِ ٱلصَّلَاةُ وَٱلسَّلَامُ وُلِدَ في ربيعٍ الأول، واختلفوا في أي يومٍ هو.

وقوله: في (**رَبِيعٍ الْأَوَّلِ**)؛ هذا هو الذي وقَعَ عليه الاتِّفاق، ولا عِبرة بمن شذَّ.

(**عَامَ الْفِيلِ**)؛ العرب قبل مَبعث النبي عَلَيْهِ ٱلصَّلَاةُ وَٱلسَّلَامُ كانوا يُؤرِّخون بالأحداث فيقولون: (**عَامَ الْفِيلِ**)، يقولون: عام الرَّمادة. يقولون: عام كذا، عام السَّيْل، عام الجَدْب، عان الخَصْب، هذه هي تواريخهم، وهي مشهورة في أبياتهم وفي نَثْر كلامهم وخُطَبهم.

ولم يكُن لهُم تاريخٌ مكتوب بحيث يكون على السنين، وإن كان أحدهم يقرأ أو يكتُب فيصِير بعد ذلك إلى تاريخ العجم، إمَّا الرُّوم فيحفظون تاريخهم الميلادي، أو الفُرْس فيحفظون تاريخهم الفارسي.

والنبي عَلَيْهِ ٱلصَّلَاةُ وَٱلسَّلَامُ وُلِدَ عام الفيل، وهذا أيضًا باتِّفاق المؤرِّخين، ولم يقع بينهم نِزاعٌ مُعتَبر.

وعام الفِيل ذكَرَه الله جَلَّوَعَلَا في القرآن، وهو العام الذي أراد فيه أبرهة الأشرَم هَدْم الكعبة المُشرَّفة، فردَّه الله عَزَّوَجَلَّ مخذولًا مُهلَكًا.

وكان يُصادف هذا بالتاريخ الميلادي تقريبًا في القرن السادس الميلادي الهجري ٥٧٦، وقِيل غير ذلك.

وقوله: (**لَكِنَّمَا الْمَشْهُورُ ثَانِي عَشْرِهِ**)؛ يعني: المشهور عند العامة أنَّه في اليوم الثاني عشر.

طبعًا (**فِي يَوْمِ الاِثْنَيْنِ**) هذا أيضًا منصوص، وهو محلُّ اتِّفاق: أنَّ ميلاده عَلَيْهِ ٱلصَّلَاةُ وَٱلسَّلَامُ كان في يوم الاثنين، وقد جاء في [**صحيح مسلم**] في المُتابعات: لمَّا سُئِلَ عن صيام الاثنين قال: «**ذَاكَ يَوْمٌ وُلِدْتُ فِيهِ**»، وكان مولده عَلَيْهِ ٱلصَّلَاةُ وَٱلسَّلَامُ بعد طلوع الفجر.

وقوله: (**وَوَافَقَ الْعِشْرِينَ مِنْ نَيْسَانَا**)؛ يعني: أنَّ في هذه السنة كان شهر ربيعٍ الأول موافِقًا للعشرين من نَيْسان، ونَيْسان هذه من الأشهُر الفارسيَّة التي دخلَتْ على العرب، وقِيل: بل هي عربيَّة كانت مستعملة عند العرب الذين كانت لهُم دولة، والأول هو المشهُور.

(**وَقَبْلَه حَيْنُ أَبِيهِ حَانَا**)؛ أي: قبل أن يُولَد النبي عَلَيْهِ ٱلصَّلَاةُ وَٱلسَّلَامُ (**حَيْنُ**)؛ أي بمعنى: موته (**حَيْنُ**) بعكس (حِينَ)؛ (حِينَ) بمعنى: الوقت؛ أمَّا (الحَيْن) بمعنى: الأجل.

(**حَيْنُ أَبِيهِ حَانَا**)؛ يعني: أجل أبيه قد حَضَر.

وقد مات عبد الله والد النبي عَلَيْهِ ٱلصَّلَاةُ وَٱلسَّلَامُ وهو في بطن أُمِّه، لمَّا يُولَدْ بعد.

المتن:

أحسن الله إليكم...

قال رَحِمَهُ ٱللَّهُ:

وَبَعْدَ عَامَيْنِ غَدَا فَطِيمَا ... جَاءَتْ بِهِ مُرضِعُهُ سَلِيمَا
حَلِيمَةٌ لِأُمِّهِ وَعَادَتْ ... بِهِ لَأَهْلِهَا كَمَا أَرَادَتْ
فَبَعْدَ شَهْرَيْنِ انْشِقَاقُ بَطْنِهِ ... وَقِيلَ بَعْدَ أَرْبَعٍ مِنْ سِنِّهِ
وَبَعْدَ سِتٍّ مَعَ شَهْرٍ جَاءِ ... وَفَاةُ أُمِّهِ عَلَى الْأَبْوَاءِ
وَجَدُّه لِلْأَبِ عَبْدُ الْمُطَّلِبْ ... بَعْدَ ثَمَانٍ مَاتَ مِنْ غَيْرِ كَذِبْ

الشرح:

بعد أنَّ وُلِدَ النبي عَلَيْهِ ٱلصَّلَاةُ وَٱلسَّلَامُ وصار عُمره في السنتين (**غَدَا فَطِيمَا**)؛ يعني بمعنى: أصبح لا يرتضِعَ رَضَاع المُرضعات (**جَاءَتْ بِهِ مُرضِعُهُ سَلِيمَا**).

طبعًا النبي عَلَيْهِ ٱلصَّلَاةُ وَٱلسَّلَامُ كعادة العرب؛ العرب كانوا في الجاهليَّة يُرسلُون أولادهم للبوادِي لغرضَيْن اثنين:

● **الأول**: أنَّهم كانوا يرَوْن أنَّ المُدن وذلك لكثرة الواردات عليهم.

● **والثاني**: أنَّهم كانوا يرَوْن أنَّ البوادي أعظم صحَّةً للطفل؛ وذلك لأنَّ أهل البوادي إنَّما يشربون ألبان الإبل والغنم التي ترعَى، ولا يعلفونها ولا يُطعمونها من طعامهم الذي يكون مخزونًا.

فهذا هو سبب إرسالهم الأولاد للبوادي.

ثم يبقون هناك بقدر ما يكون مناسبًا لحالهم الاقتصادي، ولحالهم وظروفهم الصحِّية وظروفهم المدنيَّة.

والنبي عَلَيْهِ ٱلصَّلَاةُ وَٱلسَّلَامُ قد أخذته حليمة، **وهذا باتِّفاق العلماء**: أنَّ الذي كان مُرضعًا للنبي عَلَيْهِ ٱلصَّلَاةُ وَٱلسَّلَامُ هي حليمة السَّعديَّة، وهذا لا خلاف فيه بين العلماء، وقد ثبَتَ في الحديث: أنَّ الشَّيماء أخت النبي عَلَيْهِ ٱلصَّلَاةُ وَٱلسَّلَامُ من الرَّضاع قد عرَفَها النبي وأكرمها، وحليمة السَّعديَّة هي التي كانت تُرضِع النبي عَلَيْهِ ٱلصَّلَاةُ وَٱلسَّلَامُ.

وجلَسَ النبي عَلَيْهِ ٱلصَّلَاةُ وَٱلسَّلَامُ في حجرها إلى أن صار عامَيْن، **(وَعَادَتْ بِهِ لِأَهْلِهَا كَمَا أَرَادَتْ)**؛ يعني: جاء بعد سنتين وقالت لأهل النبي عَلَيْهِ ٱلصَّلَاةُ وَٱلسَّلَامُ: إنَّ ولدكم قد فُطِم، فإمَّا أن تريدوا البقاء عندكم أو يرجِع معنا! فبَقِيَ مدةً ثم أخذته مرةً أخرى وأرجعته إلى ديار بني سعدٍ ورِباعهم.

وقوله:

فَبَعْدَ شَهْرَيْنِ انْشِقَاقُ بَطْنِهِ وَقِيلَ بَعْدَ أَرْبَعٍ مِنْ سِنِّهِ

يعني: هل كان انشقاق بطن النبي عَلَيْهِ ٱلصَّلَاةُ وَٱلسَّلَامُ وغَسْل صدره كان بعد السنتين أو كان **(بَعْدَ أَرْبَعٍ مِنْ سِنِّهِ)**؟

الذي يظهر -والله أعلم- أنَّ الراجح هو: أنَّه كان في الرابعة من عُمره؛ وذلك لأمرين:

♦ **الأول**: أنَّه كان يلعب مع الصِّبيان، ومعلومٌ أنَّ صاحب العامين لا يلعب مع الصِّبيان.

♦ **والثاني**: أنَّه لمَّا قِيل من قِبَل إخوانه من الرضاعة: إنَّ محمدًا قد طُرِح صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ وأنَّه جاءه كذا وكذا، وفَعَلوا به كذا وكذا.

هذا كلُّه يدلُّ على أنَّهم كانوا حوله في مثل سِنِّه كبارًا يفهمون ويتكلَّمون، وهذا لا يُتصوَّر ممَّن هو في سِن الثانية.

فالراجح -والله أعلم-: أنَّ انشقاق البطن أو الصدر كان (**بَعْدَ أَرْبَعٍ مِنْ سِنِّهِ**).

(**فَبَعْدَ شَهْرَيْنِ انْشِقَاقُ بَطْنِهِ**)؛ طبعًا هنا قال: (**بَطْنِهِ**)؛ لأنَّ العرب قد يتوسَّعون في إطلاق اسم (البطن) على كل ما بَطَنَ ولم يظهَر، ويُطلقون على كل ما في الجوف (بطنًا)؛ وإلَّا معلوم أنَّ الانشقاق كان على الصدر، حتى كان شيخُنا عبد الوكيل الهاشمي يقول: إنَّ أول عملية شق صدر مفتوح جَرَى في العالَم كان للنبي عَلَيْهِ ٱلصَّلَاةُ وَٱلسَّلَامُ . وإنَّما لم تُعرَف العمليات انشقاق القلب المفتوح إلَّا في هذه العصور المتأخِّرة.

وقوله:

وَبَعْدَ سِتٍّ مَعَ شَهْرٍ جَاءِ وَفَاةُ أُمِّهِ عَلَى الْأَبْوَاءِ

لمَّا بلَغَ النبي عَلَيْهِ ٱلصَّلَاةُ وَٱلسَّلَامُ سِنَّ السادسة أرادَتْ أُمُّه أن تُسافر وتذهب إلى أخوال النبي عَلَيْهِ ٱلصَّلَاةُ وَٱلسَّلَامُ؛ فإنَّ آمنة بنت وهب كان أخوالها من بني النجَّار من الأنصار.

ومن هنا نفهم كيف كان النبي عَلَيْهِ ٱلصَّلَاةُ وَٱلسَّلَامُ يَضَع رأسه في حجر أُم أنس لتفلِتَ شَعر النبي عَلَيْهِ ٱلصَّلَاةُ وَٱلسَّلَامُ كما في الصحيحين؟ لأنَّها من أخواله ومن خالات أُمِّه، هذا هو السبب.

ومعلوم في القاعدة الشرعيَّة أنَّ «**خال الأب خالٌ للابن، وخالات الأُمِّ خالاتٌ للابن**»؛لأنَّ كلمة (الخال والخالة، والعم والعمَّة) عام؛ فعمُّ أبِيك عمُّك، وعمُّ أُمِّك عمٌّ لك، وهكذا.

خال أبِيك خالٌ لك، وخال أُمِّك خالٌ لك، والخالات كذلك، والعمَّات كذلك.

وقوله: (**وَفَاةُ أُمِّهِ عَلَى الْأَبْوَاءِ**). (**الْأَبْوَاءِ**)؛ منطقة لا زالَتْ موجودة بهذا الاسم بين المدينة ومكة قريبة من المدينة، حِين قفولها بالنبي عَلَيْهِ ٱلصَّلَاةُ وَٱلسَّلَامُ ورجوعها إلى مكة قِيل: إنَّها أُصِيبَتْ بوباء المدينة، وكانت المدينة موبوءةً، وقد جاء في الصحيح: أنَّه عَلَيْهِ ٱلصَّلَاةُ وَٱلسَّلَامُ لمَّا هاجَرَ وشَعُرَ الصحابة بوباء المدينة وحُمَّى المدينة دَعَا النبي عَلَيْهِ ٱلصَّلَاةُ وَٱلسَّلَامُ أن ينقُل الله الحُمَّاءَ إلى الجُحفة؛ فصارَتْ كذلك، فأصبحَتْ من أطهَر بِقاع الأرض من الحُمَّاء؛ لذلك هي ماتت في الأبواء.

والنبي عَلَيْهِ ٱلصَّلَاةُ وَٱلسَّلَامُ كما في [**صحيح مسلم**]: أنَّه كان في غزوةٍ فمرُّوا من الأبواء، فأراد أن يزور قبر أُمِّه وأن يدعُو لها؛ فلم يأذَن الله له بالدُّعاء لها، وأَذِنَ له بزيارة قبرها. وهذا دليل على أنَّها كانت مدفونة في الأبواء.

وقوله: (**وَجَدُّه لِلْأَبِ عَبْدُ الْمُطَّلِبْ**)؛ طبعًا النبي عَلَيْهِ ٱلصَّلَاةُ وَٱلسَّلَامُ حينما مات تكفَّل به جدُّه عبد المطَّلب وكان سيِّدًا من سادات قريش، بل كان هو السيِّد المُطاع في كلِّ شيء، حتى إنَّ أبرهة الأشرَم لمَّا سأَلَ عن أسياد مكة ما أُشِير إلَّا إليه.

وبَقِيَ النبي عَلَيْهِ ٱلصَّلَاةُ وَٱلسَّلَامُ في كفالة جدِّه عبد المطَّلب حتى وفاته، وتُوفِّيَ عبد المطَّلب لمَّا كان النبي عَلَيْهِ ٱلصَّلَاةُ وَٱلسَّلَامُ في سِنِّ الثامنة.

وقوله: (**مِنْ غَيْرِ كَذِبْ**)؛ أي: من غير خطأ، وهذا هو الصواب.

المتن:

قال رَحِمَهُ ٱللَّهُ:

ثُمَّ أَبُو طَالِبٍ الْعَمُّ كَفَلْ ... خِدْمَتَهُ ثُمَّ إِلَى الشَّامِ رَحَلْ

بِهِ وَذَاكَ بَعْدَ عَامِهِ الثَّانِي عَشَرْ ... وَكَانَ مِنْ أَمْرٍ (بَحِيرَا) مَا اشْتَهَرْ

وَسَارَ نَحْوَ الشَّامِ أَشْرَفُ الْوَرَى ... فِي عَامِ خَمْسَةٍ وَعِشْرِينَ اذْكُرَا

لِأُمَّنَا خَدِيجَةٍ مُتَّجِرَا ... وَعَادَ فِيهِ رَابِحًا مُسْتَبْشِرَا

فَكَانَ فِيهِ عَقْدُهُ عَلَيْهَا ... وَبَعْدَهُ إِفْضَاؤُهُ إِلَيْهَا

الشرح:

قوله: (**ثُمَّ أَبُو طَالِبٍ الْعَمُّ كَفَلْ**)؛ أي: بعد وفاة عبد المطَّلب، وقبل أن يموت نظَرَ عبد المطَّلب إلى أولاده فانتَخَى وانتخَبَ من أولاده أبا طالب لكفالة النبي عَلَيْهِ ٱلصَّلَاةُ وَٱلسَّلَامُ، مع أنَّ أبا طالِب كان أقل أولاد عبد المطَّلب مالًا وأكثرهم عيالًا؛ فلماذا انتخَبَه عبد المطَّلب؟ انتخَبَه لأنَّه نظَرَ إليه في أنَّه أحسنهم وأكبرهم وأجودهم تربيةً.

إذًا. السبب في اختياره: للنظرة الثاقبة لعبد المطَّلب فيه أن سيُحسِن التربية، وسيُحسِن إلى ابن أخيه.

وقوله: (**خِدْمَتَهُ ثُمَّ إِلَى الشَّامِ رَحَلْ**)؛ يعني: صار أبو طالب يكفُل النبي عَلَيْهِ ٱلصَّلَاةُ وَٱلسَّلَامُ، وكان كفالته له عَلَيْهِ ٱلصَّلَاةُ وَٱلسَّلَامُ من جهة الإنفاق.

لكن ما إن بَلَغَ سِنَّ القُدرة على العمل إلَّا ورَعَى الغنَم -صَلَوَاتُ رَبِّي وَسَلَامُهُ عَلَيْهِ- على قَرَارِيط لقُريش، كما جاء في الحديث الصحيح عن النبي عَلَيْهِ ٱلصَّلَاةُ وَٱلسَّلَامُ.

ثم كان يمشِي مع عمِّه أبي طالب ويتعلَّم منه؛ لا سيَّما التجارة، وكان عُظْم رجالات قريشٍ يعملون في التجارة، بل ونساؤهم كانوا يعملون في التجارة؛ أمَّا أن يعملوا في الزراعة فهذا كان قليلًا فيهم.

وكان أيضًا هُم أصحاب إبل وأصحاب خيلٍ وغنم؛ فهُم لهُم حاضرة في مكة، ولهُم بوادِي، لهُم حاضرة في مكة ولهُم شِعاب، يجعلون أموالهم -الأنعام ونحوها- في الشِّعاب، وهُم يسكنون في الحاضرة.

فصار مع أبي طالب، وتعلَّم التجارة من أبي طالب، وسار مع أبي طالب إلى الشام وذاك بعد عام اثنَيْ عشر؛ يعني: أنَّ النبي عَلَيْهِ ٱلصَّلَاةُ وَٱلسَّلَامُ لمَّا كان عُمره اثنا عشر أخَذَه أبو طالب في تجارةٍ إلى الشام.

وقد اشتهَرَ من أمر بُحَيْرَى ما هو معروف في كُتب التاريخ والسِّيَر، وإن كان هذا من حيث الإسناد ضعيفًا؛ لكن هذا أمر مشهور في كُتب التاريخ والسِّيَر؛ فأرجعه أبو طالب.

لكن هذا لا يصحُّ من جهة النَّقل ولا من جهة العقل؛ لماذا لا يصح من جهة النَّقل ولا من جهة العقل؟

- **من جهة النَّقل**: لأنَّ السند فيه انقطاع.
- **طيب ومن جهة العقل لماذا لا يصح؟** لأنَّه لو كان يخاف على ابن أخيه من اليهود كما قاله بُحَيْرَى لوصَّاه ألا يذهب إلى الشام البتَّة، والنبي عَلَيْهِ ٱلصَّلَاةُ وَٱلسَّلَامُ بعد ذلك ذهب إلى الشام المرة بعد المرة بعد المرة، حتى قِيل: إنَّه سافَرَ إلى الشام قبل النبوَّة أكثر من ثلاث مرات.

طيب. لو كان الرجُل مُهدَّدًا من قِبَل اليهود كما قاله بُحَيْرَى؛ لماذا يذهب إذًا؟ إذا كانوا هُم سيقتلون في صِغره فأين أبو طالب؟ أين الذين معه؟ إن كانوا لا يقدرون على قَتْله وهو كبير لا يقدرون على قَتْله وهو صغير.

إذًا. هذه القصة والله أعلم أنَّ فيها ما فيها.

وقوله:

وَسَارَ نَحْوَ الشَّامِ أَشْرَفُ الْوَرَى فِي عَامِ خَمْسَةٍ وَعِشْرِينَ اذْكُرَا

يعني: هذه المسيرة كان هو تاجرًا فيها لمَّا بلَغَ عُمره العشرين صار يُتاجِر في بعض الأمور في مكة، فصار معروفًا بين الناس بالصِّدق والأمانة حتى سَمِعَ بصِدقه وأمانته النساء في خُدورهِنَّ، والعَذَارَى في قُدورهِنَّ.

فكان من شأن خديجة أنَّها أرادت أن تختبر حِنكة وفَهْم النبي عَلَيْهِ ٱلصَّلَاةُ وَٱلسَّلَامُ للتجارة، فأرسلَتْ مولاها زيد بن حارثة، وطلبَتْ منه أن يطلُب من النبي عَلَيْهِ ٱلصَّلَاةُ وَٱلسَّلَامُ أن يأتي وعرضَتْ مالها عليه ليتَّجِر، فوافَقَ النبي عَلَيْهِ ٱلصَّلَاةُ وَٱلسَّلَامُ على سبيل المُضارَبة، وكانت قريش كلُّها تُضارِب إمَّا على سبيل المُشاركة، أو المُضاربة، أو على سبيل الضمان، وهي التي نُسمِّيها اليوم بـ «الرَّهن» ونحو ذلك.

فالنبي عَلَيْهِ ٱلصَّلَاةُ وَٱلسَّلَامُ خرج بمالها على صورة المُضاربة، ولمَّا خرجَ وكان عُمره خمسةً وعشرين عامًا، وكانت الأموال لخديجة واتَّجَرَ ورَبِح (**عَادَ فِيهِ رَابِحًا مُسْتَبْشِرًا**)؛ صار المال أضعاف ما كان عليه.

فلمَّا رجَعَ تقدَّم النبي عَلَيْهِ ٱلصَّلَاةُ وَٱلسَّلَامُ لخِطبتها، وكانت أيِّمة، وقد تزوَّجَتْ قبل النبي عَلَيْهِ ٱلصَّلَاةُ وَٱلسَّلَامُ وأنجبَتْ؛ ولذلك فاطمة وكذلك زينب ورُقيَّة وأُم كلثوم وعبد الله والقاسِم لهُم إخوة وأخوات من الأُم وليس من الأب؛ أمَّا من الأب فليس لهُم إلَّا إبراهيم كما هو معروف في كُتب التاريخ والسِّيَر.

وعَقَدَ النبي عَلَيْهِ ٱلصَّلَاةُ وَٱلسَّلَامُ على خديجة، وقد اتَّفَقَ العلماء أنَّ النبي صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ حين زواجه الأول كان في عقْد العشرين؛ هل هو كان خمسة وعشرين، ستة وعشرين، سبعة وعشرين؟ فيه خلاف؛ لكنَّهم كلُّهم متَّفقون أنَّه في عقْد العشرين.

وكذلك اتَّفقوا أنَّ خديجة كانت أكبر منه وأسنَّ منه، واختلفوا في عُمرها، والأشهَر: أنَّها كانت قد دخلَتْ في عقْد الأربعين.

وقوله: (**وَبَعْدَهُ إِفْضَاؤُهُ إِلَيْهَا**)؛ يعني: بعد العقد دخَلَ عليها النبي عَلَيْهِ ٱلصَّلَاةُ وَٱلسَّلَامُ.

قال رَحِمَهُ ٱللَّهُ:

وَوِلْدُهُ مِنْهَا خَلَا إِبْرَاهِيمْ ... فَالأَوَّلُ الْقَاسِمُ حَازَ التَّكْرِيمْ

وَزَيْنَبٌ رُقَيَّةٌ وَفَاطِمَةْ ... وَأُمُّ كُلْثُومٍ لَهُنَّ خَاتِمَةْ

وَالطَّيِّبُ الطَّاهِرُ عَبْدُ اللهِ ... وَقِيلَ كُلٌّ اسْمٍ لِفَرْدٍ زَاهِي

وَالْكُلُّ فِي حَيَاتِهِ ذَاقُوا الْحِمَامْ ... وَبَعْدَهُ فَاطِمَةٌ بِنِصْفِ عَامْ

وَبَعْدَ خَمْسٍ وَثَلَاثِينَ حَضَرْ ... بُنْيَانَ بَيْتِ اللهِ لَمَّا أَنْ دَثَرْ

وَحَكَّمُوهُ وَرَضُوا بِمَا حَكَمْ ... فِي وَضْعِ ذَاكَ الْحَجَرِ الأَسْوَدِ ثَمْ

الشرح:

قوله: (**وَوِلْدُهُ مِنْهَا**)؛ وهذا بالإجماع أنَّ النبي عَلَيْهِ ٱلصَّلَاةُ وَٱلسَّلَامُ لم يُولَد له ولدٌ إلَّا من خديجة (**خَلَا إِبْرَاهِيمْ**). (**خَلَا**)؛ بمعنى: غير؛ فإبراهيم من سُرِّيَته مارية القِبطية.

وقوله: (**فَالأَوَّلُ الْقَاسِمُ حَازَ التَّكْرِيمْ**)؛ وهذا بالإجماع أنَّ أول أولاده اسمه القاسم؛ ولذلك كان يُلقَّب به فيُقال ويُنادى «يا أبا القاسم» صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، وقد نَهَى أن يتكنَّى أحدٌ بكُنيَته، والصحيح: أنَّ النَّهْي محصورٌ في حياته؛ أمَّا بعد حياته فلا بأس بالتكنِّي بـ «أبي القاسم» أو كما يُقال عندنا بـ «أبي جاسم» بإبدال (القاف) جِيمًا، فالأمر فيه واسع.

ولا شكَّ أنَّ النبي عَلَيْهِ ٱلصَّلَاةُ وَٱلسَّلَامُ وُلِدَ له أربعةٌ من البنات:

زينب: وهي الكُبرَى.

ورُقيَّة: وهي الثانية.

ثم وقَعَ النِّزاع هل فاطمة هي الثالثة أو أم كلثوم؟ الذي عليه الأكثر أنَّ فاطمة هي الثالثة، وأنَّ أم كلثوم هي الرابعة، والأظهَر -والله أعلم- أنَّ أم كلثوم هي الثالثة وفاطمة هي الصُّغرَى.

لكن بالاتِّفاق له أربع بنات، وقد جاء ذِكرهُنَّ في القرآن في قوله تَبَارَكَ وَتَعَالَى: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّبِيُّ قُل لِّأَزْوَٰجِكَ وَبَنَاتِكَ﴾ [سورة الأحزاب، من الآية:٥٩].

فإذا جاءك رافضي يُقال: ما له بنات. قُل الله في القرآن يقول: ﴿وَبَنَاتِكَ﴾، ما قال: وبِنتِكَ؛ لأنَّ بعض الرافضة وبعض الزنادقة يُكذِّبون الأحادِيث ويقولون: لم يكُن له بنت إلَّا فاطمة. هذا غير صحيح.

وعُثمان ذو النُّورَيْن؛ لماذا لُقِّبَ بـ «ذِي النُّورَيْن»؟ لأنَّ النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ زوَّجه رُقيَّة، ثمَّ لمَّا ماتت زوَّجه بأم كلثوم.

وقوله: (**وَأُمُّ كُلْثُومٍ لَهُنَّ خَاتِمَةْ**)؛ يعني: ترجيح من المُصنِّف أنَّ أم كلثوم هي الرابعة.

(**وَالطَّيِّبُ الطَّاهِرُ عَبْدُ اللهِ**)؛ وهذا -أعني: (**الطَّيِّبُ**) أو (**الطَّاهِرُ**) أو (**عَبْدُ اللهِ**)- وُلِدَ بعد الإسلام، وهذا هو الراجح.

(**وَقِيلَ كُلٌّ اسْمٍ لِفَرْدٍ زَاهِي**)؛ يعني: هذا قولٌ آخر: أنَّ الذكور من أولاد النبي عَلَيْهِ الصَّلَاةُ وَالسَّلَامُ هُم خمسة وليسوا اثنين، يقولون: القاسم، والطيِّب، والطَّاهر، وعبد الله من خديجة، وإبراهيم من مارية القِبطية سُرِّيته. إذًا خمس ذكور هذا قول آخر.

هذا معنى قوله: (**وَقِيلَ كُلٌّ اسْمٍ لِفَرْدٍ زَاهِي**)؛ يعني: كلُّ اسمٍ من هذه الأسماء ليست ألقابًا؛ (**الطَّيِّبُ**)؛ اسمٌ، و(**الطَّاهِرُ**)؛ اسمٌ، و(**عَبْدُ اللهِ**)؛ اسمٌ، (**الطَّيِّبُ**)؛ شخصٌ، و(**الطَّاهِرُ**)؛ شخصٌ، و(**عَبْدُ اللهِ**)؛ شخص.

ولكن المصنِّف رَحِمَهُ اللَّهُ رجَّح -لأنَّ قوله: (**قِيلَ**)؛ يعني: دليل على التضعِيف- أنَّه لم يُولَد للنبي عَلَيْهِ الصَّلَاةُ وَالسَّلَامُ من خديجة إلَّا القاسم وعبد الله، وعبد الله لُقِّبَ بـ «الطَّيِّب، والطَّاهر»؛ لأنَّه وُلِدَ بعد النبوَّة والإسلام.

وقوله: (**وَالْكُلُّ فِي حَيَاتِهِ ذَاقُوا الْحِمَامْ**). (**الْحِمَامْ**)؛ بكسر الحاء يعني: الموت.

(**وَبَعْدَهُ فَاطِمَةٌ بِنِصْفِ عَامْ**). (**وَبَعْدَهُ**)؛ أي: بعد النبي عَلَيْهِ الصَّلَاةُ وَالسَّلَامُ، الضمير هنا راجع لموت النبي عَلَيْهِ الصَّلَاةُ وَالسَّلَامُ؛ أي: بعد موت النبي عَلَيْهِ الصَّلَاةُ وَالسَّلَامُ تُوفِّيَتْ فاطمة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا (**بِنِصْفِ عَامْ**)؛ أي: بستَّة أشهُر.

وقد جاء في الصحيحين من حديث عائشة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا: أنَّها دخلَتْ على النبي عَلَيْهِ الصَّلَاةُ وَالسَّلَامُ وهو في مرض الموت فأسرَّها بشيءٍ فبَكَتْ، ثمَّ أسرَّها بشيءٍ فضحِكَتْ -أو تبسَّمَتْ-. فسألتها عائشة

رَضِيَٱللَّهُعَنْهَا فأَبَتْ أن تُفشِيَ سِرَّ رسول الله صَلَّىٱللَّهُعَلَيْهِوَسَلَّمَ، فلمَّا مات النبي عَلَيْهِٱلصَّلَاةُوَٱلسَّلَامُ سألَتْ عائشة رَضِيَٱللَّهُعَنْهَا فاطمة عن ذلكم الواقعة -أو تلكم الواقعة، أو ذلكم الخبر- فقالت: إنَّه قد أخبرني أنَّه مقبوضٌ في مرضِه ذاك؛ فذاك الذي أبكاني، وأخبرني أنِّي أوَّل أهله لحوقًا به؛ فذاك الذي جعلني أضحك وأتبسَّم؛ يعني شوقًا للُقيَا رسول الله صَلَّىٱللَّهُعَلَيْهِوَسَلَّمَ.

وقد قِيل: إنَّ من أسباب كون فاطمة سيدة نساء العالمِين، سؤال: لو قِيل لك: لماذا فاطمة «سيدة نساء العالمين» دون بناته الأُخريات؟ يعني: زينب وهي الكُبرى، ورقيَّة، وأم كلثوم؛ لماذا لم يُلقَّبْنَ بـ«سيدة نساء العالمين»، وبُشِّرَتْ فاطمة بـ«سيدة نساء العالمين»؟

هناك عِدَّة أجوبة قد ذكرتُها في كتابي [**فاطمة سيدة نساء العالمِين**]؛ نسأل الله تيسير إخراجه؛ لكن الأظهَر من هذه الأقوال ثلاثة، وكلُّها صحيحة:

الأول: أنَّ الله عَزَّوَجَلَّ جعل فيها من الخِصال ما ليس في بقيَّتهِنَّ.

الثانية: أنَّها شَهِدَتْ موت أمِّها وهي صغيرة دون البقيَّات؛ فإنَّهُنَّ كُنَّ بالغات، واليُتم قد يكون سببًا لنَيْل البركة والفضل من الله جَلَّوَعَلَا، وكم نرى من يتامَى يفوقون الأولاد الذين لهُم آباء وأُمَّهات؛ وذلك من فضل الله سُبْحَانَهُوَتَعَالَى.

السبب الثالث: أنَّها هي الوحيدة التي أُصِيبَتْ بمصيبة موت أبيها من بنات النبي عَلَيْهِٱلصَّلَاةُوَٱلسَّلَامُ، وصبرَتْ وما ولولَتْ ولا صرخَتْ ولا لطمَتْ ولا شقَّتْ ولا ضربَتْ، فويح مَن ينتسِبُ إليها ثم يلطِم ويشق ويولول.

رابعًا -وهذا وجهٌ ذكره الإمام الآجرِّي وغيره-: أنَّ ذريَّة النبي عَلَيْهِٱلصَّلَاةُوَٱلسَّلَامُ منقطِعة من كل الجهات:

فذريَّة زينب لم تتناسَل.

ذريَّة رقيَّة لم تتناسَل.

كذلك أم كلثوم ذريَّتها لم يقع فيها التناسُل والتكاثُر.

وإنَّما كان التكاثُر والتناسُل في ذريَّة فاطمة من جهة الحسن والحُسين، حتى إنَّ جميع آل البيت بعد ذلك وأهل البيت هُم ينتسبون إمَّا حَسَنِيٌّ أو حُسَيْنِيٌّ.

وأمَّا العلويُّون فهُم ينتسبون إلى العباس كما هو معلوم.

وقوله:

وَبَعْدَ خَمْسٍ وَثَلَاثِينَ حَضَرْ بُنْيَانَ بَيْتِ اللهِ لَمَّا أَنْ دَثَرْ

جاء سيلٌ كبير -كما يذكُر المؤرِّخون-، وكان السَّيْل شديدًا فدخل الماء إلى البيت، وكان البناء قديمًا، قِيل: أنَّه مرَّ على البناء أكثر من ثلاثمائة سنة ولم يُجدَّد، وأنَّ هذا البناء كان قد أُكِل فلمَّا أصابه السَّيْل خشوا أن ينهدِم البناء، ورأوا التشقُّقات والتصدُّعات، ورأوا أنَّ التأثير قد وصل إلى جذر البيت، طبعًا جذر البيت -اللي هو الأساس الذي ترَوْنه إلى الذراع مرفوعًا عن الأرض- هذا الجذر الذي عليه أكثر المؤرِّخِين أنَّه عليه بنيان إبراهيم عَلَيْهِ ٱلسَّلَامُ، وعليه كلُّ بنيانٍ بعد ذلك هذا لا يُلمَس؛ وإنَّما الذي يُلمَس هو ما فوق ذلك.

فخشِيَتْ قريش من هَدْم الكعبة فقالوا: لا بد أن نهدمه وإلَّا سقَطَ من نفسه، وإنَّ هذا أمر خير لا نريد من الهَدْم ليسَتْ نيَّتنا كنيَّة أبرهة؛ نيَّتنا تعظيم البيت. فخافوا، فقدَّموا أحدهم ككبش الفداء فقال: أنا أذهب وأُسقِطُ حجرًا فأمكُث ثلاثًا، فإن لم يُصبْنِي شيء فاعلموا أنَّه خيرٌ يريد الله عَزَّوَجَلَّ منَّا ذلك، وإن أصابني شيء فرُدُّوا اللبِنَة إلى مكاني واعلموا أنَّه شرٌّ لا يريد الله منَّا أن نُجدِّد بيته.

فذهب وقلَعَ حجرًا من أحجار الكعبة من أعلَى السَّقف ومَكَثَ ثلاثًا لم يُصَب بشيء، فاجتمعوا على بُنيانه وهَدَموه.

ثم لمَّا وصلوا إلى المكان الذي يضعُون فيه الحجر الأسود اختلفوا مَن الذي يضع الحجر الأسود؟ ولذلك قال المُصنِّف (**وَحَكَّمُوهُ وَرَضُوا بِمَا حَكَمْ**)؛ كادوا أن يقتتلوا، فكان من رأي بعض حكمائهم أنَّه أول داخلٍ يدخُل عليهم يُحكِّمونه مَن مِنَ القبائل أو البطون القُرَشيَّة يضع الحجر الأسود؟ فيَضَعه.

فكان الدَّاخل هو النبي عَلَيْهِ ٱلصَّلَاةُ وَٱلسَّلَامُ، فكلُّهم رضوا وقالوا: هذا هو الأمين؛ رضِينا به، يعلمون أنَّه لا يخُون، وأنَّه لا يكذب -صَلَوَاتُ رَبِّي وَسَلَامُهُ عَلَيْهِ-؛ ولذلك قال الله تعالى في القرآن: ﴿فَقَدْ لَبِثْتُ فِيكُمْ عُمُرًا مِّن قَبْلِهِۦٓ أَفَلَا تَعْقِلُونَ﴾ [سورة يونس، من الآية:١٦]؛ لقد جرَّبتوني أربعين سنة ما جرَّبتُم عليَّ كذبًا واحدًا؛ كيف الآن تُكذِّبونني؟!

حتى قال هِرقل عظيم الرُّوم: هل جرَّبتُم عليه كذبًا قط؟ قال: لا. قال: ما كان ليَدَع الكذب على الناس يعني: يكون صادق مع الناس ثم يكذِب على الله؟! هذا أمر عقلي لا يمكن، لا يُتصوَّر.

ولذلك السَّحرة والدجَّالِين أكذب الناس على الناس، يكذبون على الناس لأجل الأموال؛ فلذلك إذا قال أحدهم: قال الله لي كذا وكذا. فالإنسان العاقل يفهم أنَّه كذَّاب؛ لأنَّه إذا كان يكذب على الناس فسيكذِب على الله جلَّ فِي عُلاه.

ولذلك حكَّموه في وَضْع الحجر، فاتَّفقوا على قَبول حُكمه ففرَشَ النبي وبسَطَ النبي عَلَيْهِ ٱلصَّلَاةُ وَٱلسَّلَامُ رداءه -والرِّداء: قِطعة قماشٍ كانوا يلتحفون به على أبدانهم، كحال ما يسمَّى في بلاد الأفغان بالبتو؛ هذا هو الرداء- فوضَعَ رداءه عَلَيْهِ ٱلصَّلَاةُ وَٱلسَّلَامُ ثم وضَعَ الحجر الأسود في الرِّداء فأمَرَ من كل قبيلةٍ أشراف القبيلة أن يرفعوا الحجر الأسود ويمسك بطرف الرِّداء، فمسك من طرف الرِّداء حتى إذا وصل إلى المكان الذي فيه الحجر وَضَعه النبي عَلَيْهِ ٱلصَّلَاةُ وَٱلسَّلَامُ بيدَيْه الكريمتَين.

المتن:

قال رَحِمَهُ ٱللَّهُ:

وَبَعْدَ أَرْبَعِينَ عَامٍ أُرْسِلَا ... فِي يَوْمِ الاِثْنَيْنِ يَقِينًا فَانْقُلَا
فِي رَمَضَانَ أَوْ رَبِيعِ الْأَوَّلِ ... وَسُورَةُ اقْرَأْ أَوَّلُ الْمُنَزَّلِ
ثُمَّ الْوُضُوءَ وَالصَّلَاةَ عَلَّمَهْ ... جِبْرِيلُ وَهْيَ رَكْعَتَانِ مُحْكَمَهْ
ثُمَّ مَضَتْ عِشْرُونَ يَوْمًا كَامِلَةْ ... فَرَمَتِ الْجِنَّ نُجُومٌ هَائِلَةْ

الشرح:

قوله: (**بَعْدَ أَرْبَعِينَ عَامٍ أُرْسِلَا**)؛ هذا بالاتِّفاق أنَّ النبي عَلَيْهِ ٱلصَّلَاةُ وَٱلسَّلَامُ أُوحِيَ إليه وهو في سِنِّ الأربعين؛ يعني: بعد ما أكمل (٣٩) جاءَه الوحي.

وكان قبل ذلك -صَلَوَاتُ رَبِّي وَسَلَامُهُ عَلَيْهِ- حُبِّبَ إليه الخلاء كما في حديث عائشة في [**صحيح البُخاري**] في (كتاب الوحي)، وكان قبل ذلك أيضًا لا يرى رؤية إلَّا يجيء مثل فَلَق الصُّبح.

فإن قال قائل: ما الفائدة من رؤيته للرُّؤية، ومجيء ذلك الرؤية مثل فَلَق الصُّبح؟

لأنَّه إذا رأى الإنسان الرؤية وأخبر بها الناس، ثم وقعَتْ رؤياه كما أخبر؛ ما الذي يحصُل عند الناس؟ أنَّهم سيُصدِّقونه فيما بعد في كل ما يُخبِر، هذه فائدة الرؤية قبل نزول الوحي عليه، وتهيئة لنفس النبي عَلَيْهِ ٱلصَّلَاةُ وَٱلسَّلَامُ.

وقوله: (**بَعْدَ أَرْبَعِينَ عَامٍ أُرْسِلَا**)؛ الأصل: أنَّ الأنبياء -عَلَيْهِمُ الصَّلَاةُ وَالسَّلَامُ- جلُّهم -ولا نقول: كلُّهم- أُرسِلوا في الأربعين، وبعد الأربعين؛ لقوله جَلَّ وَعَلَا: ﴿حَتَّىٰٓ إِذَا بَلَغَ أَشُدَّهُۥ وَبَلَغَ أَرۡبَعِينَ سَنَةً﴾ [سورة الأحقاف، من الآية:١٥].

فإذًا بلوغ الأشُدّ إنَّما يكون بتمام الأربعين، وهو تمام العقل وكماله، ونُضْج البُنيان وتمامه.

ولا يمنع هذا أن يكون بعض الأنبياء قد أُوحيَ إليهم قبل ذلك كـ (عِيسى، ويحيى) عَلَيْهِمَا ٱلسَّلَامُ.

وقوله: (**فِي يَوْمِ الِاثْنَيْنِ يَقِينًا فَانْقُلَا**)؛ هذا أيضًا **متَّفق عليه** أنَّ الوحي نزَلَ على النبي عَلَيْهِ ٱلصَّلَاةُ وَٱلسَّلَامُ في يوم الاثنين.

وقوله: (**يَقِينًا فَانْقُلَا**)؛ يعني: اقبَل هذا القول على وجه اليقين ولا تتردَّد، ولا تنظُر إلى أقوال الآخرِين.

(**فِي رَمَضَانَ**)؛ وهذا أيضًا بالإجماع أنَّ الوَحْي أول ما نَزَل نَزَلَ في رمضان؛ لقوله تعالى: ﴿شَهۡرُ رَمَضَانَ ٱلَّذِيٓ أُنزِلَ فِيهِ ٱلۡقُرۡءَانُ﴾ [سورة البقرة، من الآية:١٨٥]؛ سواء كان المقصود بالإنزال هنا:

الإنزال الابتدائي على النبي عَلَيْهِ ٱلصَّلَاةُ وَٱلسَّلَامُ.

أو كان المقصود بالإنزال هنا الإنزال الكُلِّي إلى بيت العِزَّة إلى سماء الدنيا.

فهذا كلُّه في رمضان.

قال: (**أَوْ رَبِيعِ الْأَوَّلِ**)؛ وهذا على سبيل التضعيف، والأول هو الصحيح للحديث الذي في الصحيحين قال: فجاءَه الوحي وهو في غار حِراء.

وقوله: (**وَسُورةُ اقْرَأْ أَوَّلُ الْمُنَزَّلِ**)؛ وهذا أيضًا بالاتِّفاق، ووقَعَ فيه نِزاعٌ يسير ثم اندَثَرَ هذا النِّزاع، ووقَعَ الإجماع على أنَّ أول الآيات نزولًا الخمس آيات الأُوَل من «سورة اقرأ».

وأمَّا قول جابر في [**صحيح مسلمٍ**] وغيره: أنَّ أول ما نزل ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلۡمُدَّثِّرُ﴾ [سورة المدثر، الآية:١].

فالصواب: أنَّه بعد أن انقطَعَ الوحي جاءه ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلۡمُدَّثِّرُ ۝١ قُمۡ فَأَنذِرۡ﴾ [سورة المدثر، الآيتان:١،٢].

وجمَعَ الإمام محمد بن عبد الوهاب رَحِمَهُ ٱللَّهُ بين القولين بجَمْعٍ لطيف فقال: أُنْبِئَ بـ«اقرأ» وأُرسِل بـ«المُدثِّر»؛ لأنَّ كون الوحي نزَلَ عليه معناه أنَّه نبي.

كونه أُمِرَ فقال الله له: ﴿قُمۡ فَأَنذِرۡ﴾ [سورة المدثر، الآية:٢]؛ معناه أنَّه صار رسولًا.

هذا جمْعٌ لطيف من الإمام رَحِمَهُ ٱللَّهُ تعالى.

وقوله: (**وَسُورَةُ اقْرَأْ أَوَّلُ الْمُنَزَّلِ**)؛ ليس المقصود السُّورة كلَّها؛ وإنَّما الآيات الخمس فقط، **وهذا أيضًا بالاتِّفاق**.

ثُمَّ الْوُضُوءَ وَالصَّلَاةَ عَلَّمَهْ جِبْرِيلُ وَهْيَ رَكْعَتَانِ مُحْكَمَهْ

كما تعلمون -رعاكم الله وثبَّتنا وإيَّاكم على الطاعة والعبادة- أنَّ الصلوات الخمس فُرِضْنَ في ليلة الإسراء والمعراج، والإسراء والمِعراج كان في العام العاشر من البِعثة، طيب، هذه المدَّة هل كان النبي عَلَيۡهِ ٱلصَّلَاةُ وَٱلسَّلَامُ والصحابة يتوضؤون ويُصلُّون أو لا؟

الجواب: يتوضؤون ويُصلُّون، ويصومون أيضًا:

- **أمَّا الوضوء**: فهو وضوؤنا هذا.
- **وأمَّا الصلاة**: فهي صلاتنا هذه من حيث الكيفية؛ ولكن وقَعَ النِّزاع في الكميَّات، هي صلاتنا هذه من حيث الكيفية بدءً وخِتامًا؛ وإنَّما وقَعَ النِّزاع في الكمِّيات هل الذي فُرِضَ عليهم ركعتان فقط في الليل وركعتان في النهار، أو ركعتان في الليل والنهار؟ أو أكثر من ذلك أو أقل؟ وقَعَ فيه خلاف.

مع اتِّفاقهم أنَّ قيام الليل كان فرضًا على النبي عَلَيۡهِ ٱلصَّلَاةُ وَٱلسَّلَامُ حتى نزول الصلوات الخمس ﴿وَمِنَ ٱلَّيۡلِ فَتَهَجَّدۡ بِهِۦ نَافِلَةً لَّكَ عَسَىٰٓ أَن يَبۡعَثَكَ رَبُّكَ مَقَامٗا مَّحۡمُودٗا﴾ [سورة الإسراء، الآية:٧٩]؛ حتى نسختها قوله جَلَّ وَعَلَا: ﴿عَلِمَ أَن سَيَكُونُ مِنكُم مَّرۡضَىٰ وَءَاخَرُونَ﴾ [سورة المزمل، من الآية:٢٠]؛ إلى آخره.

وقوله: (**عَلَّمَهْ جِبْرِيلُ**)؛ وهذا جاء في [**صحيح مسلم**] أنَّ جبريل هو الذي علَّم النبي عَلَيۡهِ ٱلصَّلَاةُ وَٱلسَّلَامُ الصلاة؛ ولكن هذا في ذِكْر تعليمه الصلوات الخمس، فكذلك يكون للصلاة الركعتين.

(ثُمَّ مَضَتْ عِشْرُونَ يَوْمًا كَامِلَةْ)؛ أي: بعد أن حصل ونزَلَ الوحي على رسول الله صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ ونزلَ جبريل بالوضوء وبالصلاة (مَضَتْ عِشْرُونَ يَوْمًا كَامِلَةْ)؛ هنا بدأ الجو في السماء يتغيَّر، فظهَرَ في أعيُن الناس ليلًا شيئًا لم يكُن معروفًا في زمانهم، وهو كثرة الشُّهُب التي تُرمَى، الشُّهُب كانت تُرمَى قبل مبعَث النبي عَلَيْهِ ٱلصَّلَاةُ وَٱلسَّلَامُ، وبعد موت النبي عَلَيْهِ ٱلصَّلَاةُ وَٱلسَّلَامُ؛ لكنَّها في مدة زمن بِعثة النبي عَلَيْهِ ٱلصَّلَاةُ وَٱلسَّلَامُ ازدادَتْ النجوم رَمْيًا ﴿رُجُومًا لِّلشَّيَٰطِينِ﴾[سورة الملك، من الآية:٥].

فأصبحَتْ أخبار السماء ممنوعة على الجِنِّ؛ الجنُّ كان يصعد بعضهم فوق بعض -كما جاء في الأحادِيث- ويسترقون السَّمْع من ملائكة السماء؛ ليُخبروا الكَهنة بما سيكون، وبما سيقع في الأرض؛ يعني: مثل استخبارات، عندهم استخبارات، يسوُّون التقاط للأخبار والأحادِيث التي تدُور بين الملائكة؛ فالله عَزَّوَجَلَّ مَنَعَ الشياطِين من استراق السَّمع في الشُّهُب في زمن النبي عَلَيْهِ ٱلصَّلَاةُ وَٱلسَّلَامُ.

لذلك (رَمَتِ الْجِنَّ نُجُومٌ هَائِلَةْ)؛ يعني: كثُرَتْ، هذا مقصود (هَائِلَةْ)؛ يعني: عظيمة، والوَصْف هنا (عَظِيمة، فَعِيلة؛ بمعنى: فاعلة) أو عظيمة من حيث الكثرة. يجوز هذا وهذا.

قال رَحِمَهُ ٱللَّهُ:

ثُمَّ دَعَا فِي أَرْبَعِ الْأَعْوَامِ ... بِالْأَمْرِ جَهْرَةً إِلَى الْإِسْلَامِ
وَأَرْبَعٌ مِنَ النِّسَا وَاثْنَا عَشَرْ ... مِنَ الرِّجَالِ الصَّحْبِ كُلٌّ قَدْ هَجَرْ
إِلَى بِلَادِ الْحُبْشِ فِي خَامِسِ عَامْ ... وَفِيهِ عَادُوا ثُمَّ عَادُوا لَا مَلَامْ
ثَلَاثَةٌ هُمْ وَثَمَانُونَ رَجُلْ ... وَمَعَهُمْ جَمَاعَةٌ حَتَّى كَمُلْ
وَهُنَّ عَشْرٌ وَثَمَانٍ ثُمَّ قَدْ ... أَسْلَمَ فِي السَّادِسِ حَمْزَةُ الْأَسَدْ

الشرح:

قوله:

ثُمَّ دَعَا فِي أَرْبَعِ الْأَعْوَامِ بِالْأَمْرِ جَهْرَةً إِلَى الْإِسْلَامِ

يعني معناته: أنَّ النبي عَلَيْهِ الصَّلَاةُ وَالسَّلَامُ جلَسَ في مكة ست سنواتٍ بدعوةٍ سريَّة، وبدأ الجَهر في أربعة أعوام، والذي هو معروف في التاريخ أنَّ النبي عَلَيْهِ الصَّلَاةُ وَالسَّلَامُ ما دعا الناس سِرًّا إلَّا ست سنوات؛ هذا هو المعروف، وإن قِيل غير ذلك فهذا منقولٌ أيضًا.

ثُمَّ دَعَا فِي أَرْبَعِ الْأَعْوَامِ بِالْأَمْرِ جَهْرَةً إِلَى الْإِسْلَامِ

يعني: (أَرْبَعِ الْأَعْوَامِ)؛ من العَشْر الذي كان في مكة.

وبعد حادثة الإسراء مكَثَ النبي عَلَيْهِ الصَّلَاةُ وَالسَّلَامُ سنتين وأشهُرًا؛ فلذلك بعض الناس يطرَح الكسر ويُبقِي العشر.

وفي قوله جَلَّ وَعَلَا: ﴿وَلَا تَجْهَرْ بِصَلَاتِكَ وَلَا تُخَافِتْ بِهَا﴾ [سورة الإسراء، من الآية:١١٠]؛ هذه نزلَتْ في زمن السِّريَّة، وفي زمن السِّريَّة نزلَتْ آيات كثيرة، وفي هذه المدة قد سَمِعَتْ قريشٌ ببعض الأخبار وصاروا يُعذِّبون مَن يُظهِر الإسلام، ومَن لا يُظهِر الإسلام يُترَك.

ثم قوله:

وَأَرْبَعٌ مِنَ النِّسَا وَاثْنَا عَشَرْ مِنَ الرِّجَالِ الصَّحْبِ كُلٌّ قَدْ هَجَرْ

يعني: أنَّ الهجرة الأُولَى إلى الحبشة بدأَتْ في السنة السادسة من البِعثة.

(وَأَرْبَعٌ مِنَ النِّسَا وَاثْنَا عَشَرْ مِنَ الرِّجَالِ)؛ وقد ذكَرَهم ابن هشام رَحِمَهُ اللَّهُ بأسمائهم.

(مِنَ الرِّجَالِ الصَّحْبِ كُلٌّ قَدْ هَجَرْ)؛ فيكون المجموع ستة عشر مُهاجرًا مُستضعفًا من أهل مكة.

إِلَى بِلَادِ الْحُبْشِ فِي خَامِسِ عَامْ وَفِيهِ عَادُوا ثُمَّ عَادُوا لَا مَلَامْ

إذا كان (فِي خَامِسِ عَامْ)؛ معناه: أنَّ الدعوة السِّريَّة كانت أربعة أعوام، وهذا على اختيار الإمام؛ يكون معناه الدعوة سِرِّية في أربع الأعوام سريَّة، ثم في العام الرابع صارَتْ جهريَّة، وفي العام الخامس اضطرُّوا إلى الهِجرة، والأكثر أنَّ الهِجرة كانت في السنة السادسة.

فعلى كل حال.. التوارِيخ قد يكون بطَرح الكسور، أو بجَبْر الكسور؛ فتقديمهم سنةً أو تأخيرهم سنة لا يضُر؛ لأنَّ المقصود هو:

- إمَّا جبرُ الكسر.
- وإمَّا تَرْك الكَسر.

مثل: الآن لو يأتيك إنسان ويقول لك: الصحابة مَكَثوا سنتين مُستقبلي القِبلة. كيف سنتان والحديث سنة وستَّة أشهُر؟ بجَبْر الكسر؛ لأنَّ العرب تُعطِي الغالب في المدَّة بالكسر، أو بطرح الكسر، فيقولون: مكثنا سنةً مُستقبلي القِبلة. مثلًا.

قوله: (**فِي خَامِسِ عَامْ وَفِيهِ عَادُوا ثُمَّ عَادُوا لَا مَلَامْ**)؛ طبعًا كان سبب عَوْدهم بعد الهِجرة الأُولَى؛ ماذا كان سبب عودتهم؟ **سبب عودتهم**: إسلام حمزة وإسلام عُمر، وقِيل غير ذلك.

وقِيل: أنَّ سبب عَوْدهم: أنَّه لمَّا نزلَتْ على النبي عَلَيْهِ ٱلصَّلَاةُ وَٱلسَّلَامُ أواخِر «سورة النجم» سَجَدوا جميعًا، فاشتهَرَ بين الآفاق أنَّ أهل مكة قد أسلموا، ووصَلَ الخبر خطأً إلى المُهاجِرين في الحبشة فرَجَعوا.

أيًّا كان السبب المهم أنَّهم رجَعوا، ما استطاعوا أن يبقوا هناك.

(**وَفِيهِ عَادُوا ثُمَّ عَادُوا لَا مَلَامْ**). (**وَفِيهِ عَادُوا**)؛ يعني: إلى مكة.

(**ثُمَّ عَادُوا لَا مَلَامْ**)؛ أي: عادوا إلى الحبشة مرةً أخرى نفس هؤلاء.

(**ثَلَاثَةٌ هُمْ**)؛ أي: ثلاثةٌ من الذين عادوا هؤلاء رجعوا مرة أخرى.

(**وَثَمَانُونَ رَجُلْ**)؛ زاد الآن عدد المُهاجرين إلى الحبشة، وهذا فيه دِلالة على فَضْل حاكم الحبشة وأهلها في ذلك الوقت؛ حيث فَتَحوا صدورهم وبُلدانهم لهؤلاء المهاجرين.

(**وَمَعَهُمْ جَمَاعَةٌ حَتَّى كَمُلْ، وَهُنَّ عَشْرٌ وَثَمَانٍ**)؛ يعني: عدد هؤلاء (**ثَلَاثَةٌ هُمْ وَثَمَانُونَ رَجُلْ، وَهُنَّ عَشْرٌ وَثَمَانٍ**)؛ يعني: ثمانية عشر امرأة، (**ثَلَاثَةٌ هُمْ وَثَمَانُونَ رَجُلْ**)؛ يعني: ثلاثةٌ وثمانون رجُلًا، وثماني عشرة امرأة.

(**ثُمَّ قَدْ أَسْلَمَ فِي السَّادِسِ حَمْزَةُ الْأَسَدْ**)؛ حمزة عمُّ النبي عَلَيْهِ ٱلصَّلَاةُ وَٱلسَّلَامُ، وهو أكبر من النبي عَلَيْهِ ٱلصَّلَاةُ وَٱلسَّلَامُ، وقِيل: أصغر منه.

وأمَّا العبَّاس فأسنُّ من النبي صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ.

والأصوب: أنَّ النبي صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ كان بين العبَّاس وبين حمزة، وقِيل: بل كان أكبر منه. وهذا هو المشهور.

قال رَحِمَهُ ٱللَّهُ تعالى:

وَبَعْدَ تِسْعٍ مِنْ سِنِي رِسَالَتِهْ ... مَاتَ أَبُو طَالِبَ ذُو كَفَالَتِهْ

وَبَعْدَه خَدِيجَةٌ تُوُفِّيَتْ ... مِنْ بَعْدِ أَيَّامٍ ثَلَاثَةٍ مَضَتْ

وَبَعْدَ خَمْسِينَ وَرُبْعٍ أَسْلَمَا ... جِنُّ نَصِيبِينَ وعَادُوا فَاعْلَمَا

ثُمَّ عَلَى سَوْدَةَ أَمْضَى عَقْدَهْ ... فِي رَمَضَانَ ثُمَّ كَانَ بَعْدَهْ

عَقْدُ ابْنَةِ الصِّدِّيقِ فِي شَوَّالِ ... وَبَعْدَ خَمْسِينَ وَعَامٍ تَالِ

أُسْرِيْ بِهِ وَالصَّلَوَاتُ فُرِضَتْ ... خَمْسًا بِخَمْسِينَ كَمَا قَدْ حُفِظَتْ

الشرح:

قوله: (**وَبَعْدَ تِسْعٍ مِنْ سِنِي رِسَالَتِهْ**)؛ يعني: في العام التاسع.

(**مَاتَ أَبُو طَالِبَ ذُو كَفَالَتِهْ**)؛ مات أبو طالب في عام الشِّعب أو في سنة المُقاطعة؛ حيث إنَّ قريشًا قد تعاهدَتْ على مُقاطعة المسلمين وعدم مبايعتهم أو مؤاكلتهم أو مُشاربتهم أو مزاوجتهم؛ فانحاز أبو طالب ومَن معه من بني هاشم ومن المطَّلب بن عبد مناف، مع أنَّهم كانوا كفَّار لكن انحازوا مع المسلمين وصاروا في الشِّعب.

ولذلك لمَّا جاء عُثمان بن عفَّان وآخر من الصحابة -نسيت اسمه الآن- جاء إلى النبي عَلَيْهِ ٱلصَّلَاةُ وَٱلسَّلَامُ وقالا له: يا رسول الله، إنَّك تُعطِي أبناء عمومتنا المُطَّلب بن عبد مناف من الخُمس وتمنعنا، ونحن وإيَّاهم منك على سواء؛ لأنَّ عثمان بن عفَّان من عبد شمس بن عبد مناف، والمطَّلب بن عبد مناف، وهاشم بن عبد مناف؛ هُم في نفس الدرجة؛ فتعجَّب كيف أنَّ النبي عَلَيْهِ ٱلصَّلَاةُ وَٱلسَّلَامُ يُعطِي المطَّلب؟

كونه يُعطِي للهاشميِّين لأنَّه من نَسْله عَلَيْهِ ٱلصَّلَاةُ وَٱلسَّلَامُ؛ طيب لماذا تُعطِي أولاد عمومتك المطَّلب بن عبد مناف، وتَدَع عبد شمس بن عبد مناف، اللي هُم منهم: أبو سُفيان، ومنهم عُثمان بن عفَّان، وغيرهم من الصحابة.

فالنبي عَلَيْهِ ٱلصَّلَاةُ وَٱلسَّلَامُ بيَّنَ لهُم العِلَّة وقال: «**إِنَّا وَبَنُو الْمُطَّلِبِ سَوَاءٌ فِي الْجَاهِلِيَّةِ وَالْإِسْلَامِ**»؛ لأنَّهم دخلوا معنا في الشِّعب وناصرونا مع أنَّهم لم يكونوا مسلمِين؛ أمَّا أنتم ما فعلَ كُفَّاركم هذا الفِعل حتى نُعاملكم هذه المُعاملة.

وقوله: (**وَبَعْدَه خَدِيجَةُ تُوُفِّيَتْ**)؛ طبعًا خديجة رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهَا تُوفِّيَتْ أيضًا بعد أبي طالب قِيل: بأيام. وقِيل: بشهر. وسُمِّيَ هذا العام بـ«عام الحُزن»؛ وذلك ليس حُزنًا على موت أبي طالب وخديجة كما يظُنُّ بعض الناس؛ وإنَّما كان «عام الحُزن»؛ لأنَّ المُشركِين ازدادوا ضربًا وازدادوا سبًّا وشتمًا وقتلًا وتعذيبًا للمسلمِين؛ فحَزِنَ المسلمون لفُقدان المُناصِر، وكانوا يجدون مناصرًا قويًّا في الشكيمة من أبي طالب، ومُناصرًا ماليًّا قويًّا من خديجة، فذهب المُانصر القوي البدني، وذهب المُناصر القوي المالي. هذا هو الصحيح في سبب تسمية هذه السنة بـ«عام الحُزن».

قال: (**مِنْ بَعْدِ أَيَّامٍ ثَلَاثَةٍ مَضَتْ**)؛ يعني: أنَّ بعد موت أبي طالب بثلاثة أيام رجَّح المُصنِّف أنَّها ماتت رَضِيَ اللهُ تَعَالَى عَنْهَا وَأَرْضَاهَا.

وهي التي بشَّرها النبي عَلَيْهِ ٱلصَّلَاةُ وَٱلسَّلَامُ بأنَّها «سيدة نساء العالمين»، وسيدات نساء العالمين أربع كما جاء في الحديث المنصوص، وعلى حسب وفيَّاتهنَّ:

آسيا بنت مُزاحم. امرأة فِرعون.

ومريم بنت عِمران. أُم عيسى.

وخديجة بنت خويلد. زوج النبي عَلَيْهِ ٱلصَّلَاةُ وَٱلسَّلَامُ.

وفاطمة بنت محمدٍ رَضِيَ اللهُ تَعَالَى عَنْهَا، وصَلَّى اللهُ وَسَلَّمَ عَلَى نَبِيِّنَا مُحَمَّدٍ.

وقول الناظم هنا:

وَبَعْدَ خَمْسِينَ وَرُبْعٍ أَسْلَمَا جِنٌّ نَصِيبِينَ وعَادُوا فَاعْلَمَا

(**بَعْدَ خَمْسِينَ وَرُبْعٍ أَسْلَمَا**)؛ يحتمل أن يكون (**خَمْسِينَ وَرُبْعٍ**)؛ يعني: خمسين، ورُبْع الخمسين؛ يعني: يكون ٧٥ يوم؛ فعلى هذا يعني: بعد موت أبي طالب وخديجة؛ يعني: في نفس العام في «عام الحُزن».

(**جِنُّ نَصِيبِينَ وعَادُوا فَاعْلَمَا**). (**جِنُّ نَصِيبِينَ**). (**نَصِيبِينَ**)؛ اسم منطقة، وهي واعة في المنطقة الفراتية بين الجزيرتَيْن في بلاد الرافدين بين بغداد وبين الشام، وهي لا زالت بهذا الاسم.

وقِيل: سُمِّيَتْ أرض (**نَصِيبِينَ**)؛ بهذا الاسم لكثرة عقاربها، والعجم تُسمِّي العقارب بـ «نصِيبِين». والله أعلم.

قال: (**وعَادُوا**)؛ أي: إلى قومهم مُنذِرين، وهذه تسمية للنبي عَلَيْهِ ٱلصَّلَاةُ وَٱلسَّلَامُ أنَّ قومك وإن كانوا قد وقفوا ضدَّك ولم يُؤمنوا وحاصرُوكم فإنَّ الله جعَلَ لكم مَخرَجًا؛ فهذا وفدٌ من الجِنِّ قد أسلموا على يديك (**فَاعْلَمَا**).

ثُمَّ عَلَى سَوْدَةَ أَمْضَى عَقْدَهْ فِي رَمَضَانَ ثُمَّ كَانَ بَعْدَهْ

بعد موت خديجة رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهَا النبيُّ عَلَيْهِ ٱلصَّلَاةُ وَٱلسَّلَامُ أصبح بلا زوج، ثم إنَّه عَلَيْهِ ٱلصَّلَاةُ وَٱلسَّلَامُ نظَرَ إلى بعض أصحابه وقد أسلمَتْ سَوْدَة ومات زوجُها، ولم يكُن أحدٌ يهتمُّ بها؛ فالنبي عَلَيْهِ ٱلصَّلَاةُ وَٱلسَّلَامُ تزوَّجها مع أنَّها -كما في كُتب التاريخ والسِّيَر- لم تكُن ذات جمالٍ، ولا ذات مالٍ، ولا ذات نَسَبٍ كما يُقال؛ لكن النبي عَلَيْهِ ٱلصَّلَاةُ وَٱلسَّلَامُ جبَرَ خاطرها فتزوَّجها لأنَّها أسلمت، وتوفِّيَتْ وتُوُفِّيَ زوجها عنها.

وكانت نِعم الزوجة للنبي عَلَيْهِ ٱلصَّلَاةُ وَٱلسَّلَامُ لا سيَّما بعد فَقْده لخديجة، فقامَتْ مقام خديجة في تربية أولاد النبي عَلَيْهِ ٱلصَّلَاةُ وَٱلسَّلَامُ، وعلى رأسهِنَّ فاطمة، وعلى رأسهِنَّ أيضًا أم كلثوم، وأيضًا رُقيَّة؛ فقامت بهذه الوظيفة على أتمِّ وأحسن صورةٍ حتى وفاتها بعد وفاة النبي عَلَيْهِ ٱلصَّلَاةُ وَٱلسَّلَامُ بمدَّة.

وهي التي تنازلَتْ عن ليلتها لعائشة رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهَا في مُقابل بقائها في عِصمة النبي عَلَيْهِ ٱلصَّلَاةُ وَٱلسَّلَامُ، فيا لرجاحة عقلها!

وقوله: (**ثُمَّ كَانَ بَعْدَهْ عَقْدُ ابْنَةِ الصِّدِّيقِ فِي شَوَّالِ**)؛ إذًا معنى هذا: أنَّ النبي عَلَيْهِ ٱلصَّلَاةُ وَٱلسَّلَامُ عقَدَ على الصِّدِّيقة في شوال؛ لكن هل كان في نفس السنة اللي هي العاشرة أو كان في السنة الحادية عشر؟

الذي يظهَر -والله أعلم- أنَّه كان في نفس السنة في شوَّال عقَدَ النبي عَلَيْهِ ٱلصَّلَاةُ وَٱلسَّلَامُ على الصِّدِّيقة عائشة، وكانت في سِنِّ السادسة، وذلك بعرضٍ من أبي بكرٍ الصِّدِّيق؛ لكن هذا من حيث التاريخ فيه نظر.

وقد ورَدَتْ أحاديث صحيحة أنَّ النبي عَلَيْهِ ٱلصَّلَاةُ وَٱلسَّلَامُ رأَى عائشة في المنام، وقال: «**إِنْ كَانَ مِنْ عِنْدِ اللهِ يُمْضِهِ**»، ثم بعد ذلك تقدَّم النبي عَلَيْهِ ٱلصَّلَاةُ وَٱلسَّلَامُ وطلَبَها من أبي بكر، فوافَقَ الصِّدِّيق رَضِيَ اللهُ تَعَالَى عَنْهُ.

قوله: (**وَبَعْدَ خَمْسِينَ وَعَامٍ تَالٍ**). (**خَمْسِينَ**)؛ يعني: يومًا.

(**وَعَامٍ**)؛ يعني: بعد سنة وخمسين يومًا؛ يعني: سنة وشهر وعشرين يومًا.

(**وَبَعْدَ خَمْسِينَ وَعَامٍ تَالٍ**)؛ يعني: بعد شوَّال، أو بعد «عام الحُزن»؛ يعني: بعد «عام الحُزن» بسنة وشهر (**أُسْرِيْ بِهِ**).

إذًا رجَّحَ العلَّامة ابن أبي العِز وهو مُدقِّق مُحقِّق رجَّح أنَّ حادثة الإسراء والمِعراج كانت في السنة الحادية عشر، وهذا قول لبعض المؤرِّخين، وهو ترجيح ابن أبي العِزّ كما ترون.

والأظهَر -والله أعلم- أنَّ حادثة الإسراء والمِعراج كان في نفس «عام الحُزن»؛ وذلك تسليةً للنبي عَلَيْهِ ٱلصَّلَاةُ وَٱلسَّلَامُ، ولكي يذهب ما به عَلَيْهِ ٱلصَّلَاةُ وَٱلسَّلَامُ فتهُون عليه المصائب إذا رأى ما رأى كما قال جَلَّ وَعَلَا: ﴿ لَقَدْ رَأَىٰ مِنْ ءَايَٰتِ رَبِّهِ ٱلْكُبْرَىٰٓ ﴾ [سورة النجم، الآية:١٨].

فالإسراء كان في السنة العاشرة، وعلى قول ابن أبي العِز كان في السنة الحادية عشر من البِعثة.

قال: (**وَالصَّلَوَاتُ فُرِضَتْ خَمْسًا بِخَمْسِينَ كَمَا قَدْ حُفِظَتْ**)؛ إذًا النبي عَلَيْهِ ٱلصَّلَاةُ وَٱلسَّلَامُ مكَثَ في مكة يُصلِّي الصلوات الخمس سنتين وأشهُر.

- **وبكَسْر الجبر**: ثلاث سنوات.
- **وبطَرْح الجبر**: سنتين.

وكان عَلَيْهِ ٱلصَّلَاةُ وَٱلسَّلَامُ مأمورًا أن يتوجَّه إلى بيت المقدِس، فكان إذا أراد أن يُصلِّي يجعل بين يديه الكعبة ويُصلِّي إلى بيت المقدِس.

قال رَحِمَهُ ٱللَّهُ:

وَالْبَيْعَةُ الْأُولَى مَعَ اثْنَيْ عَشَرَا ... مِنْ أَهْلِ طَيْبَةَ كَمَا قَدْ ذُكِرَا
وَبَعْدَ اِثْنَتَيْنِ وَخَمْسِينَ أَتَى ... سَبْعُونَ فِي الْمَوْسِمِ هَذَا ثَبَتَا
مِنْ طَيْبَةٍ فَبَايَعُوا ثُمَّ هَجَرْ ... مَكَّةَ يَوْمَ اثْنَيْنِ مِنْ شَهْرِ صَفَرْ
فَجَاءَ طَيْبَةَ الرِّضَا يَقِينَا ... إِذْ كَمَّلَ الثَّلَاثَ وَالْخَمْسِينَا
فِي يَوْمِ الِاثْنَيْنِ وَدَامَ فِيهَا ... عَشْرَ سِنِينَ كُمَّلًا نَحْكِيهَا

الشرح:

قوله هنا: (**الْبَيْعَةُ الْأُولَى**)؛ اللي تُسمَّى بـ«بَيْعة العقبة الأُولى».

بَيْعة العقبة الأُولى: تعلمون أنَّ أهل الجزيرة كانوا يحجُّون، ما كانوا مُنكرِين للحج، ولا لتعظيم البيت؛ لكن حجُّهم كان شِركيًّا، فحجَّ أُناسٌ من الأوس والخزرج، حجُّوا، وكان هذا بعد الصُّلح بينهم، وهُم جلسُوا قُرابة أربعين سنة يتقاتلون في المعارك التي كانت بسبب داعس غبراء وغير ذلك من الأسباب، وكادوا أن يتصالحوا.

فلمَّا تصالحوا كان من صُلحهم أنَّهم كانوا يخرجون معًا ويرجعون معًا، ويُتاجرون معًا، ويحجُّون معًا، فذهبوا إلى الحج معًا، وكانوا مُجاورِين ليهود المدينة، وهُم بنو قُرَيْظة، بنو قَيْنُقاع، بنو النَّضِير.

وكانوا أيضًا يُتاجرون بتمرهم وبمِيرتهم يذهبون إلى خيْبَر وأهل خَيْبَر يأتون إليهم، ويذهبون إلى وادي القُرَى وفيهم اليهود، ووادي القرى يأتون إليهم؛ فكانوا مهبِطَ أو كانوا محطَّ أنظار اليهود وذلك لأنَّهم قرأوا في كُتبهم: أنَّ نبي آخر الزمان يخرُج من أرضٍ ذات نخلٍ.

ولذلك تجدون أنَّ اليهود سكنوا قبل مَبعَث النبي عَلَيْهِ ٱلصَّلَاةُ وَٱلسَّلَامُ، حينما ينظُر الإنسان إلى سُكنَى اليهود يجد أنَّهم تفرَّقوا إلى ثلاث جهات:

أُناسٌ منهم سكنوا المدينة وما حولها من المناطِق التي فيها النخيل والتَّمر.

وأناسٌ منهم سكنوا العراق والمناطق التي فيها النخيل والتَّمر.

وأُناسٌ منهم كانوا في اليمن في الأماكن التي فيها النخيل والتَّمر.

فهذا كلُّه يدلُّ أنَّهم كانوا ينتظرون بِعثة، ويرون أنَّه سيكون منهم؛ فكانوا يسمعون أنَّه حان بِعثة نبي آخر الزمان، فربَّما سَمِعوا بعض أوصافه، وبعض أخلاقه، وبعض سِماته.

فلمَّا جاءوا إلى المدينة وكان النبي عَلَيْهِ ٱلصَّلَاةُ وَٱلسَّلَامُ يعرِض نفسه على القبائل التي تأتي إلى الحج قبيلةً قبيلة سِرًّا بعيدًا عن أنظار كُفَّار مكة، فحصل منه عَلَيْهِ ٱلصَّلَاةُ وَٱلسَّلَامُ أنَّه جلَسَ مع اثنَيْ عشر من أهل طَيْبة؛ بعضهم من الأوس، وبعضهم من الخزرج، فلمَّا جلس معهم ودعاهُم أسلموا جميعًا في دعوةٍ واحدة، رأوا أنَّ جميع الصِفات التي كانوا يسمعونها موجودة في النبي عَلَيْهِ ٱلصَّلَاةُ وَٱلسَّلَامُ؛ فأسلموا جميعًا.

ورجعوا، وكان هذا على الصحيح من أقوال المؤرِّخين: في العام الحادي عشر من البِعثة «بَيْعة العقبة الأُولَى».

وبَعْدَ ثِنْتَيْنِ وَخَمْسِينَ أَتَى سَبْعُونَ فِي الْمَوْسِمِ هَذَا ثَبَتَا

يعني: البَيْعة الثانية «بَيْعة العَقبة الثانية» (**بَعْدَ ثِنْتَيْنِ وَخَمْسِينَ**)؛ معناه: أنَّ هذا كان في موسِم، وهذا كان في موسِم؛ المواسم التي كانت عند العرب:

- **في رجب**: كانوا يذهبون إلى العُمرة؛ لأنَّهم كانوا يأمنون.
- **وفي الأشهُر الحُرُم**: يذهبون إلى الحج، وكانوا يأمنون.

وعلى حساب ابن أبي العِز رَحِمَهُ ٱللَّهُ -وكما ذكَرْنا: مُحقِّق مُدقِّق- يكون ذهاب الوفد الأول في أول ذِي القِعدة، وذهاب الوفد الثاني بعد مُضِيِّ ذِي القِعدة يعني: في الحج؛ يكون في عشر ذِي الحِجَّة ونحوه.

وصلوا إلى الموسِم وهُم -كما قال- (**سَبْعُونَ**)، وكان معهم بعض النِّساء أيضًا، ومن هؤلاء السبعِين: عُبادة بن الصامت رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُ، وهو من أشهَر النُّقباء المعروفِين.

وقوله: (**مِنْ طَيْبَةٍ فَبَايَعُوا**)؛ طبعًا هذا الاسم تسمية المدينة بـ (**طَيْبَةَ**)؛ ما كان معروفًا في الجاهليَّة؛ كانوا يُسمُّونها «يَثرب»، والنبي عَلَيْهِ ٱلصَّلَاةُ وَٱلسَّلَامُ لمَّا هاجَرَ غيَّر اسم «يثرب» إلى «طَيْبَة، وطابَة، والمدينة»، والله جَلَّ وَعَلَا ذكَرَ هذه الأسماء في القرآن؛ فقال على لسان المنافقين، المنافقين قالوا في غزوة الخندق: ﴿ وَبَلَغَتِ ٱلْقُلُوبُ ٱلْحَنَاجِرَ وَتَظُنُّونَ بِٱللَّهِ ٱلظُّنُونَا ۝١٠ هُنَالِكَ ٱبْتُلِيَ ٱلْمُؤْمِنُونَ وَزُلْزِلُوا

زِلْزَالًا شَدِيدًا ﴿١١﴾ وَإِذْ يَقُولُ الْمُنَافِقُونَ وَالَّذِينَ فِي قُلُوبِهِم مَّرَضٌ مَّا وَعَدَنَا اللَّهُ وَرَسُولُهُ إِلَّا غُرُورًا ﴿١٢﴾ وَإِذْ قَالَت طَّائِفَةٌ مِّنْهُمْ يَا أَهْلَ يَثْرِبَ ﴾ [سورة الأحزاب، من الآيات:١٠-١٣]؛ إذًا هُم رفضوا تغيير اسم المدينة، سمُّوها أيش؟ «يَثرِب» على ما كان.

أمَّا الله جَلَّ وَعَلَا فسمَّاه «المدينة»؛ كما في قوله جَلَّ وَعَلَا في آخر «سورة الأحزاب» أيضًا: ﴿يَا أَيُّهَا النَّبِيُّ قُل لِّأَزْوَاجِكَ وَبَنَاتِكَ وَنِسَاءِ الْمُؤْمِنِينَ يُدْنِينَ عَلَيْهِنَّ مِن جَلَابِيبِهِنَّ ذَٰلِكَ أَدْنَىٰ أَن يُعْرَفْنَ فَلَا يُؤْذَيْنَ وَكَانَ اللَّهُ غَفُورًا رَّحِيمًا ﴿٥٩﴾ لَّئِن لَّمْ يَنتَهِ الْمُنَافِقُونَ وَالَّذِينَ فِي قُلُوبِهِم مَّرَضٌ وَالْمُرْجِفُونَ فِي الْمَدِينَةِ ﴾ [سورة الأحزاب، من الآيتين:٥٩،٦٠]؛ إذًا سمَّاها الله «المدينة»؛ فهي «المدينة».

وهي «طَيْبة» في أحاديث رسول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ.

قوله: (**فَبَايَعُوا ثُمَّ هَجَرْ مَكَّةَ**). (**هَجَرْ**)؛ يعني: هاجَر.

(**مَكَّةَ يَوْمَ اثْنَيْنِ مِنْ شَهْرِ صَفَرْ**). (**ثُمَّ هَجَرْ**)؛ يعني: النبي عَلَيْهِ الصَّلَاةُ وَالسَّلَامُ، وكان هذا بعد تمام ثِنْتَيْ عشرة عامًا؛ يعني: في السنة الثالثة عشر.

ولذلك لمَّا يقول بعض الناس: أنَّ النبي عَلَيْهِ الصَّلَاةُ وَالسَّلَامُ مكَثَ في مكة ثلاثة عشر عامًا. لا تُكذِّبه؛ لأنَّه بجَبْر الكسر.

فإن قال: إنَّه مكَثَ في مكة عشر سنوات. لا تُكذِّبه؛ لأنَّه بطَرْح الكسور، والعرب مع العشور تطرح الكسور، وهذا معروف عندهم في سياق كلامهم.

لكن من حيث التدقيق قطعًا مكَثَ النبي عَلَيْهِ الصَّلَاةُ وَالسَّلَامُ بعد البِعثة اثنتَيْ عشرة عامًا، أو اثنا عشرة عامًا.

وفي العام الثالث عشر من البِعثة هاجَرَ النبيُّ عَلَيْهِ الصَّلَاةُ وَالسَّلَامُ، وكان معه الصِّدِّيق أبو بكر رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ كما في منصوص القرآن: ﴿ثَانِيَ اثْنَيْنِ إِذْ هُمَا فِي الْغَارِ إِذْ يَقُولُ لِصَاحِبِهِ لَا تَحْزَنْ إِنَّ اللَّهَ مَعَنَا ﴾[سورة التوبة، من الآية:٤٠].

فَجَاءَ طَيْبَةَ الرِّضَا يَقِينَا إِذْ كَمَّلَ الثَّلَاثَ وَالْخَمْسِينَا

يعني: صار عُمر النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ يوم مقدمِهِ المدينة كان قد كمَّلَ الخمسين وثلاث سنوات.

(**فِي يَوْمِ الاِثْنَيْنِ**)؛ تأمَّلوا:

- وُلِدَ في يوم الاثنين.
- ونزَلَ عليه الوحي في يوم الاثنين.
- وَصَل المدينة في يوم الاثنين.
- وتُوفِّيَ في يوم الاثنين.

(**عَشْرَ سِنِينَ كُمَّلًا نَحْكِيهَا**). (**عَشْرَ سِنِينَ كُمَّلًا**)؛ يعني: أتمَّ مُكْثه عَلَيْهِ ٱلصَّلَاةُ وَٱلسَّلَامُ بعد الهِجرة عشر سنواتٍ كاملة.

النبي عَلَيْهِ ٱلصَّلَاةُ وَٱلسَّلَامُ قَدِمَ المدينة بعد ثلاثة عشر عامًا أمضاها في مكة.

وعُمرُه ثلاثة وخمسون قَدِمَ المدينة.

توفي وعُمره ثلاثًا وستُّون.

أمَّا ماذا فعَلَ في هذه العشر سنين فالمُصنِّف يقول: (**نَحْكِيهَا**)؛ ونحن نقول: نؤخِّرها إلى لقاءٍ آخر إن شاء الله.

وصلِّ اللهُمَّ على نبيِّنا محمد وعلى آله وصحبه أجمعِين.

والحمد لله رب العالمين.

سلسلة شروح فضيلة الشيخ

شرح

الأرجوزة المئية

في ذكر حال أشرف البرية

للعلامة ابن أبي العز الحنفي

المتوفى سنة ٧٩٢ هـ

لفضيلة الشيخ الدكتور

محمد هشام طاهري

حفظه الله ورعاه

خدمة دروس الشيخ

ملاحظة: الشيخ لم يراجع التفريغ

رابط الدرس مرئي

https://www.youtube.com/watch?v=MEGnYAnkkjc&list=PLcHCzΛWLFx-qGquTCYziQxJnPGsO١EyVl&index=٢

(المجلس الثاني)

الحمد لله رب العالمِين، نحمده -سُبْحَانَهُ- وليُّ الصالحِين المُتَّقِين، وأشهد أن لا إله إلَّا الله وحده لا شريك له إله الأولِين والآخرِين، وأشهد أنَّ محمدًا عبده ورسوله المبعوث رحمةً للعالمِين صَلَوَاتُ رَبِّي وَسَلَامُهُ عَلَيْهِ وعلى آله وأصحابه ومَن سار على نَهْجه واقتفَى أثره إلى يوم الدِّين.

وبعد.

فهذا هو اللقاء الثاني من لقاءاتنا في التعليق على [**الأُرْجُوزَةُ الْمِيئِيَّةُ فِي ذِكْرِ حَالِ أَشْرَفِ الْبَرِيَّةِ**]، وكنَّا قد وقفنا على البيت الثاني والأربعين من أبيات [**المِيئِيَّة**]؛ فنبدأ على بركة الله تعالى حيث أنهَيْنا مع المُصنِّف النَّاظم رَحِمَهُ ٱللَّهُ ما يتعلَّق بالعهد المكِّي وأنَّه هاجر عَلَيْهِ ٱلصَّلَاةُ وَٱلسَّلَامُ إلى المدينة في يوم الاثنين، ودام فيها -يعني: في المدينة- (**عَشْرَ سِنِينَ كُمَّلًا نَحْكِيهَا**).

فنبدأ مع حكاية ما فعَلَ وما قالَ، وما حصَلَ في المدينة حتى وفاته صَلَوَاتُ رَبِّي وَسَلَامُهُ عَلَيْهِ.

المتن:

بسم الله، والصلاة والسلام على رسول الله.

اللهُمَّ اغفِر لنا ولوالدِينا ولشيخنا وللحاضرِين والسَّامعِين.

قال المؤلِّف العلَّامة أبو الحسن علي بن أبي العِزّ الحنفي رَحِمَهُ ٱللَّهُ:

أَكْمَلَ فِي الْأُولَى صَلَاةَ الْحَضَرِ ... مِنْ بَعْدِ مَا جَمَّعَ فَاسْمَعْ خَبَرِي

ثُمَّ بَنَى الْمَسْجِدَ فِي قُبَاءِ ... وَمَسْجِدَ الْمَدِينَةِ الْغَرَّاءِ

ثُمَّ بَنَى مِنْ حَوْلِهِ مَسَاكِنَهْ ... ثُمَّ أَتَى مِنْ بَعْدُ فِي هَذِي السَّنَهْ

أَقَلُّ مِنْ نِصْفِ الَّذِينَ سَافَرُوا ... إِلَى بِلَادِ الْحُبْشِ حِينَ هَاجَرُوا

وَفِيهِ آخَى أَشْرَفُ الْأَخْيَارِ ... بَيْنَ الْمُهَاجِرِينَ وَالْأَنْصَارِ

ثُمَّ بَنَى بِابْنَةِ خَيْرِ صَحْبِهِ ... وَشُرِعَ الْأَذَانَ فَاقْتَدِ بِهِ

وَغَزْوَةُ الْأَبْوَاءِ بَعْدُ فِي صَفَرْ ... هَذَا وَفِي الثَّانِيَةِ الْغَزْوُ اشْتَهَرْ

الشرح:

يقول:

أَكْمَلَ فِي الْأُولَى صَلَاةَ الْحَضَرِ مِنْ بَعْدِ مَا جَمَّعَ فَاسْمَعْ خَبَرِي

يعني: أنَّ النبي عَلَيْهِ الصَّلَاةُ وَالسَّلَامُ وصَلَ إلى المدينة وصار يُصلِّي صلاةً تامَّة؛ لأنَّه قد أصبح مُقيمًا مستوطنًا في المدينة.

فـ (**أَكْمَلَ فِي الْأُولَى صَلَاةَ الْحَضَرِ**)؛ والمقصود بـ (**الْأُولَى**)؛ الصلاة الأُولَى عند الصحابة هي صلاة الظُّهر، ثم العصر، ثم المغرب، ثم العِشاء، ثم الفجر.

أَكْمَلَ فِي الْأُولَى صَلَاةَ الْحَضَرِ مِنْ بَعْدِ مَا جَمَّعَ فَاسْمَعْ خَبَرِي

(**مِنْ بَعْدِ مَا جَمَّعَ**)؛ يعني: أنَّه صلَّى صلاة الجُمعة بعد أن صلَّى صلاة الأُولَى في قُباء؛ معناه: أنَّه وصَلَ يوم الاثنين فمكَثَ في قُباء الاثنين والثلاثاء والأربعاء والخميس، ثم الجُمعة تحرَّك من قُباء وجمَّعَ في مكانٍ بين قُباء وبين المدينة.

وهذا المكان إلى اليوم مشهور ومبنِي في مكانه مسجد يُسمَّى بـ«مسجد الجُمعة»، وإن كان لم يثبُت من حيث الإسناد صحَّة المكان؛ لكن هذا مقبول من حيث التاريخ.

(**مِنْ بَعْدِ مَا جَمَّعَ**). (**جَمَّعَ**)؛ يعني: صلَّى صلاة الجُمعة (**فَاسْمَعْ خَبَرِي**).

ثُمَّ بَنَى الْمَسْجِدَ فِي قُبَاءِ وَمَسْجِدَ الْمَدِينَةِ الْغَرَّاءِ

يعني: من أوَّل ما جاء النبي عَلَيْهِ الصَّلَاةُ وَالسَّلَامُ إلى قُباء صلَّى في المكان وأشار إلى أصحابه أن يبنوا في هذا المكان مسجدًا، ما هو معناه أنَّه بدأ مباشرةً؛ لكن أشار إليه؛ وإلَّا فلا شكَّ أنَّ مسجد قُباء من أول المساجد بناءً في المدينة، كما أنَّ مسجد النبي عَلَيْهِ الصَّلَاةُ وَالسَّلَامُ من أول المساجد بناءً في المدينة، ولا تعارُض بين الأوَّليَّتَيْن؛ لماذا؟ لأنَّ مسجد قُباء أول مسجدٍ بُنِيَ في قُباء، ومسجد النبي عَلَيْهِ الصَّلَاةُ وَالسَّلَامُ أول مسجدٍ بُنِيَ في المدينة.

وفي قوله تَبَارَكَ وَتَعَالَى في «سورة التوبة»: ﴿لَمَسْجِدٌ أُسِّسَ عَلَى التَّقْوَىٰ مِنْ أَوَّلِ يَوْمٍ أَحَقُّ أَن تَقُومَ فِيهِ﴾[سورة التوبة، من الآية:١٠٨]؛ فسمَّاه ﴿لَمَسْجِدٌ أُسِّسَ عَلَى التَّقْوَىٰ مِنْ أَوَّلِ يَوْمٍ﴾. ﴿مِنْ أَوَّلِ يَوْمٍ﴾؛ الجار والمجرور متعلِّق بماذا؟ بالتأسيس ولَّا متعلِّق بالمَقدَم؟ فيه خلاف بين المُفسِّرين:

➢ **فمَن قال:** ﴿لَمَسۡجِدٌ أُسِّسَ عَلَى ٱلتَّقۡوَىٰ مِنۡ أَوَّلِ يَوۡمٍ﴾؛ أي: من أول مَقدَمه أسَّسته؛ فيكون معنى هذا: أنَّه أسَّس مسجد قُباء في أول مَقدَمه.

➢ **وعلى المعنى الثاني:** أنَّ ﴿مِنۡ أَوَّلِ﴾؛ الجار والمجرور متعلِّق بالتقوَى؛ فيكون المعنى: ﴿لَمَسۡجِدٌ أُسِّسَ عَلَى ٱلتَّقۡوَىٰ﴾؛ أي: من حِين أُسِّسَ، من أول ما أُسِّسَ، من حِين بُنِيَ كان المَقصِد التقوَى؛ فلا يدلُّ على الأوَّليَّة.

وبهذا -أعني: بالقول الثاني- يُجمَع بين كونه هذه الآية في قُباء، والنبي عَلَيۡهِ ٱلصَّلَاةُ وَٱلسَّلَامُ لمَّا سُئِلَ عن أول مسجدٍ أُسِّسَ على التقوَى. قال: «**مَسْجِدِي هَذَا**»؛ كيف يكون مسجده هو أول المساجد المُؤسَّسة على التقوَى، والآية ﴿لَمَسۡجِدٌ أُسِّسَ عَلَى ٱلتَّقۡوَىٰ مِنۡ أَوَّلِ يَوۡمٍ﴾؟ **بالاتِّفاق** نازلةٌ في أهل قُباء.

نقول: ما في تعارُض؛ لأنَّ ﴿مِنۡ أَوَّلِ﴾؛ جار ومجرور متعلِّق بالتقوَى على تفسير النبي عَلَيۡهِ ٱلصَّلَاةُ وَٱلسَّلَامُ؛ فيكون المقصود: أنَّ مسجد قُباء من حِين أُسِّس أُسِّس على التقوَى؛ فأحقُّ أن تقوم فيه من مسجدٍ من حِين أُسِّس أُسِّس على الضَّرر والضِّرار؛ وأمَّا مسجِده عَلَيۡهِ ٱلصَّلَاةُ وَٱلسَّلَامُ فأول المساجد بناءً في المدينة.

وهذا الجَمْع من أحسن ما قاله شُرَّاح الأحادِيث.

ثُمَّ بَنَى الْمَسْجِدَ فِي قُبَاءٍ وَمَسْجِدَ الْمَدِينَةِ الْغَرَّاءِ

وقد جاء في الحديث الصحيح وحسَّنه بعض أهل العلم عند أبي داود وابن ماجه: «**مَنْ تَطَهَّرَ فِي بَيْتِهِ ثُمَّ أَتَى مَسْجِدَ قُبَاءٍ فَصَلَّى فِيهِ رَكْعَتَيْنِ كَانَ لَهُ كَأَجْرِ عُمْرَةٍ**»؛ هذا يدلُّ على فَضْل مسجد قُباء.

وممَّا يدلُّ على فَضْله: الآية السابقة التي نزلَتْ في بيان أنَّها مؤسَّسة على التقوَى.

وممَّا يدلُّ على فَضْل مسجد قُباء أيضًا: أنَّ النبي عَلَيۡهِ ٱلصَّلَاةُ وَٱلسَّلَامُ كان بعد ذلك يأتي مسجد قُباء كل سبتٍ، ومعنى كل سبتٍ يعني: كل يوم سبت، أو معنى كل سبتٍ يعني: كلَّ أسبوعٍ مرة. وكِلَا القولين صحيح.

فبناءً على هذا: كان يأتيه سبتًا أحيانًا؛ ولكن لا يُفوِّت أسبوعًا إلَّا ويأتي إلى أهل قُباء من بني عمرو بن عوف، وبعض بني النَّجَّار كانوا يسكنون في تلكم الناحية.

وقُباء بالنسبة للمدينة من جهة القِبلة من جهة القابل من مكة، أو ما يُقابلك يُقابلك جهة قُباء.

وإلى عهدٍ قريب إلى سنة ٨١ ميلاديَّة كان هناك عينٌ في قُباء يجري، وأنا رأيتُ هذا وأنا صغير مع والدي رَحِمَهُ ٱللَّهُ، كان هناك عين يجري ويأتي إلى جهة المدينة.

وأمَّا (**مَسْجِدَ الْمَدِينَةِ الْغَرَّاءِ**)؛ فهو أول مسجدٍ بُنِيَ في الإسلام. وهذا هو الصحيح من أقوال أهل العلم، وإليه الإشارة في حديث النبي عَلَيْهِ ٱلصَّلَاةُ وَٱلسَّلَامُ لمَّا سُئِلَ عن أول مسجدٍ بُنِي قال: «**مَسْجِدِي هَذَا**».

والمساجد المُفضَّلة الثلاثة هي مُفضَّلةٌ -أعني: المساجد الثلاثة- لسببين اثنين:

الأول: كونه بانِيها الأنبياء عَلَيْهِمُ ٱلسَّلَامُ:

- فالذي بَنَى مسجد الكعبة هو إبراهيم عَلَيْهِ ٱلسَّلَامُ.
- والذي بَنَى بيت المقدِس ابتداءً هو يعقوب عَلَيْهِ ٱلسَّلَامُ، وجدَّده سليمان عَلَيْهِ ٱلسَّلَامُ.
- والذي بَنَى المسجد النبوي هو النبي عَلَيْهِ ٱلصَّلَاةُ وَٱلسَّلَامُ.

فمن حيث البانِي أمرًا وإرشادًا وفِعلًا هُم الأنبياء كانت هذه المساجد مُفضَّلة.

ومن الجهة الثانية: أنَّ هذه المساجد الثلاثة موضوعة في أماكن مُقدَّسة، وقد قال الله جَلَّ وَعَلَا عن مكة قال: ﴿إِنَّمَا ٱلْمُشْرِكُونَ نَجَسٌ فَلَا يَقْرَبُوا۟ ٱلْمَسْجِدَ ٱلْحَرَامَ﴾ [سورة التوبة، من الآية:٢٨]؛ فهو مسجدٌ يعني: مكان عبادة، وحرامٌ.

وقال جَلَّ وَعَلَا: ﴿وَٱلتِّينِ وَٱلزَّيْتُونِ ۝١ وَطُورِ سِينِينَ ۝٢ وَهَٰذَا ٱلْبَلَدِ ٱلْأَمِينِ﴾ [سورة التين، الآيات:١-٣]، وقال: ﴿لَآ أُقْسِمُ بِهَٰذَا ٱلْبَلَدِ ۝١ وَأَنتَ حِلٌّۢ بِهَٰذَا ٱلْبَلَدِ﴾ [سورة البلد، الآيتان:١،٢].

والمدينة شرَّفها الله وحَفِظَها شُرِّفَتْ بالنبي عَلَيْهِ ٱلصَّلَاةُ وَٱلسَّلَامُ، وحرَّمها الله جَلَّ وَعَلَا استجابةً لدُعاء النبي عَلَيْهِ ٱلصَّلَاةُ وَٱلسَّلَامُ لمَّا قال: «**اللَّهُمَّ إِنَّ إِبْرَاهِيمَ حَرَّمَ مَكَّةَ، وَإِنِّي أُحَرِّمُ مَا بَيْنَ لَابَتَيْهَا**».

إذًا لا تعارُض بين كونه بَنَى مسجد قُباء وبين كونه بَنَى مسجد المدينة؛ لكن مسجد المدينة بناؤه أول من حيث الظرفيَّة، من حيث الوقتيَّة، ومسجد قُباء مبنيٌّ بعد ذلك من حيث تأسيسه على التقوى أوليٌّ في جهة قُباء.

ثم كان البناء باتِّفاق المؤرِّخِين في السنة الأُولَى من هجرة النبي عَلَيْهِ ٱلصَّلَاةُ وَٱلسَّلَامُ أول مَقدمه؛ لأنَّه عَلَيْهِ ٱلصَّلَاةُ وَٱلسَّلَامُ أول ما قَدِم عَمِلَ ثلاثة أمور:

الأول: أشار إليه المُصنِّف بقوله:

ثُمَّ بَنَى الْمَسْجِدَ فِي قُبَاءِ وَمَسْجِدَ الْمَدِينَةِ الْغَرَّاءِ

ويتضمَّن ذلك مُلحقات المسجد من بناء مساكِنه؛ (**ثُمَّ بَنَى مِنْ حَوْلِهِ مَسَاكِنَهْ**)؛ مساكِن زوجاته، فبَنَى غُرَفًا بجوار المسجد من جهة الشرق، غُرفةً لزوجته سَوْدَة، وغرفةً لزوجته عائشة، وغُرفةً لابنته فاطمة ورُقيَّة ولمَّا يتزوَّجا بعد.

ثم أيضًا في أول مَقدَمه آخَى بين المهاجِرين والأنصار، وقد ذكَرَه المُصنِّف رَحِمَهُ ٱللَّهُ.

وأيضًا في أول مَقدَمِه فعَلَ أمرًا ثالثًا -وإن لم يُشر إليه المُصنِّف- وهو متَّفقٌ عليه بين المؤرِّخِين، وهو: أنَّه كتَبَ فيما بينه وبين أهل المدينة من الكُفَّار المشركِين الذين بقوا على دِينهم واليهود والمسلمين بَنَى معهم عهدًا، وسُمِّيَ وعُرِفَ هذا العهد بـ«صحيفة المدينة».

وهذه الصحيفة وإن كان من جهة الإسناد فيها مقال؛ لكنَّها بمجموع طُرُقها ثابتة، وهي تدلُّ على عِظَم شأن الإسلام، وكيف أنَّه رسَّخ قضية التعايُش السِّلمي بين المسلمين وغيرهم ولو لم يكونوا على دِينه.

وفي هذه المُعاهدة هناك أهداف مشتركة بين الجميع، ومنها:

- حماية المدينة من الخارجِين الذين يريدون الإضرار بالمدينة.
- وحِماية مصالِح المدينة من التجارة والزراعة والرَّعْي، وغير ذلك.
- ومن المنصوصات في هذه الصحيفة: التكافُل الاجتماعي؛ بحيث لو أنَّ دمًا قد وُجِبَ فإنَّهم يتكاتفون في دَفْع الدِّية.

هذه الأمور الثلاث فعَلَها النبي في أول مَقدَمِه؛ ولذلك قال الناظم ابن أبي العِز رَحِمَهُ ٱللَّهُ: (**ثُمَّ بَنَى مِنْ حَوْلِهِ مَسَاكِنَهْ**).

أمَّا مَن قرأ النَّظْم بقول: (**ثُمَّ بَنَى مَنْ حَوْلِهِ مَسَاكِنَهْ**)؛ فهذا لا يصح لأنَّ الذين بنوا حول المسجد مساكنًا إنَّما كان بعد ذلك بمدةٍ يسيرة وليس في أول المَقدِم.

وقد بَنَى حول المسجد آخرون من الصحابة مساكن، ومنهم: عُمر وله خوخ، والصِّدِّيق وله خوخ؛ ولهذا قال عَلَيْهِ ٱلصَّلَاةُ وَٱلسَّلَامُ مُخاطبًا كل الذين بنوا حول المسجد: «**سُدُّوا كُلَّ خَوْخَةٍ إِلَى الْمَسْجِدِ إِلَّا خَوْخَةَ الصِّدِّيقِ**»؛ هذا يدلُّك على أنَّ هناك كانت مساكن أُخرى، وكانت المساكن من جهة الغرب، وكان باب المسجد العام الكبير إنَّما كان من جهة الشَّمال من جهة أُحُد، وهناك أبواب أخرى صغيرة.

يقول: (**ثُمَّ أَتَى مِنْ بَعْدُ فِي هَذِي السَّنَةْ**). (**مِنْ بَعْدُ**)؛ يعني: بمدةٍ يسيرة ليست مباشرةً ولا مدة طويلة؛ هذه فائدة (**مِنْ بَعْدُ**)؛ أي: من بعد يسيرًا.

(**فِي هَذِي السَّنَةْ**)؛ السنة الأُولَى.

مَن جاء؟

أَقَلُّ مِنْ نِصْفِ الَّذِينَ سَافَرُوا إِلَى بِلَادِ الْحُبْشِ حِينَ هَاجَرُوا

إذًا. معناه: أنَّ جاء أُناس المهاجرون إلى المدينة كل مَن استطاع أن يُهاجِر جاء، وإضافة على ذلك الذين عَلِموا من المهاجرِين للحبشة قَدِموا أيضًا؛ لكن ليس كلُّهم وإنَّما نِصف الذين سافروا (**إِلَى بِلَادِ الْحُبْشِ حِينَ هَاجَرُوا**).

وكان عددهم -كما سبَق وأن بيَّنَّا- جاوَزَ السبعين؛ فجاء منهم أُناس في المدينة (**هَذِي السَّنَةْ**)؛ يعني: في السنة الأُولَى.

(**وَفِيهِ**)؛ أي: في السنة في هذا العام أيضًا.

إذا قلنا: (**فِيهِ**)؛ ذكَّرنا الضمير: فيعود إلى العام.

وإذا أنَّثنا الضمير وقلنا: (وفِيها)؛ فيعود إلى السنة.

(**وَفِيهِ آخَى أَشْرَفُ الْأَخْيَارِ**). (**آخَى**)؛ من المؤاخاة، والمؤاخاة منقسمة إلى ثلاثة أقسام:

أخوة طينيَّة: وهي النَّسَب.

وأخوَّة طِينيَّةٌ جواريَّةٌ وطنيَّة: وهي التي كان عليها الأنصار مع اليهود والمُشركين الموجودِين في المدينة.

وأخوةٌ دِينيَّة: وهي التي لا نَسَب فيها ولا دار.

والمقصود هي الأخوة الدِّينيَّة.

(آخَى أَشْرَفُ الْأَخْيَارِ). (أَشْرَفُ الْأَخْيَارِ)؛ هو النبي عَلَيْهِ ٱلصَّلَاةُ وَٱلسَّلَامُ فهو أشرَف الأخيار؛ فهو خيارٌ من خيارٍ من خيار؛ ولذلك يُوصَف بأنَّه (أَشْرَفُ الْأَخْيَارِ)؛ فهو أشرف العرب والعجم، أشرف الأنبياء والمرسلِين، أشرف الأئمَّة وأشرف القُدوة، وأشرف الصالحِين؛ هو النبي عَلَيْهِ ٱلصَّلَاةُ وَٱلسَّلَامُ.

آخَى (بَيْنَ الْمُهَاجِرِينَ وَالْأَنْصَارِ)؛ فكان ينظُر إلى المُهاجِرين وإلى الأنصار وهو يعلم صِفات هؤلاء وهؤلاء؛ فيُؤاخِي بين هذا وذاك بحسب ما يُناسب أحوالهم.

وكلُّكم تعلمون أنَّ هذه المُؤاخاة صارَتْ ووصلَتْ حتى آخَى النبي عَلَيْهِ ٱلصَّلَاةُ وَٱلسَّلَامُ بين عُمر وأخ له من الأنصار، وبين عبد الرحمن بن عوف وسعد بن الربيع، وإلى آخر ذلك.

وكانت هذه الأخوة أخوَّة وصلَتْ إلى مرحلة من الجهة الشرعيَّة حتى كان الرجُل يتوارثُ بها، فلو مات المُهاجر ولم يكن له وارثٌ فإنَّ أخاه الأنصاري يَرِثه، والعكس كذلك؛ هذه الأخوَّة نُزِّلَتْ منزلة الأخوة الطِّينية وأقوى.

ثم في آخر الأمر -كما تعلمون- كما في آخر «سورة الأنفال»، وكما في أول «سورة الأحزاب»: إبطال الإرث بالمُؤاخاة الإيمانيَّة، وهذا الحُكم من أجمل ما يكون، فأمَرَ بالمؤاخاة الإيمانية، وتكون أقوَى من الأخوة الطِّينيَّة؛ فكان المسلم إذا مات لا يَرِثُه الكاف وإن كان أخوه، ويَرِثه المسلم الذي هو أخوه وإن لم يكن من أُمِّه وأبيه.

ثم قطَعَ التوارُث بالأخوَّة الإيمانية حتى تكون خالصةً لربِّ البريَّة، لا لمالٍ ولا لمقصِدٍ.

تصوَّروا معي أنَّ هذه الأخوة بَقِيَتْ لكان كل واحد يدوِّر له غني بيصير أخوه عشان الفلوس؛ لكن الله جَلَّ وَعَلَا من حِكمته أبطَل هذا الحُكم؛ ولذلك يقول جَلَّ وَعَلَا: ﴿ٱلنَّبِيُّ أَوۡلَىٰ بِٱلۡمُؤۡمِنِينَ مِنۡ أَنفُسِهِمۡۖ وَأَزۡوَٰجُهُۥٓ أُمَّهَٰتُهُمۡۗ وَأُوْلُواْ ٱلۡأَرۡحَامِ بَعۡضُهُمۡ أَوۡلَىٰ بِبَعۡضٖ فِي كِتَٰبِ ٱللَّهِ مِنَ ٱلۡمُؤۡمِنِينَ وَٱلۡمُهَٰجِرِينَ﴾ [سورة الأحزاب، من الآية:٦]. خلاص انتهَى، الآن قطَعَ الإرث بالأخوة في الإيمان.

يقول:

آخَى أَشْرَفُ الْأَخْيَارِ بَيْنَ الْمُهَاجِرِينَ وَالْأَنْصَارِ

اسم (**الْمُهَاجِرِينَ**)، واسم (**الْأَنْصَارِ**)؛ اسمٌ وَصْفيٌّ لم يكن للعرب بهذا الاسم عهدٌ ولا صِلَة، ما كانوا يعرفون هذا الاسم؛ مَن أعطَى هذا الوَصْف؟ مَن أعطَى هذا الاسم؟ ربُّ العالمِين تَبَارَكَ وَتَعَالَى.

فصار لقب المسلمين في المدينة من المسلمين: «أنصارًا»، وتمايزوا بذلك عن الكُفَّار والمُشركِين الذين بقوا على أصل دِينهم، وتمايزوا عن المنافقين.

والذين يقدِمون من المسلمين من الخارج: لُقِّبوا بـ«المهاجرين»، وصار هذا الاسم وهذا اللقب معروفًا على مَن يُطرَح؟

وفي كتاب الله جَلَّ وَعَلَا إطلاقه في مواضِع كثيرة؛ ﴿لَّقَد تَّابَ ٱللَّهُ عَلَى ٱلنَّبِيِّ وَٱلْمُهَٰجِرِينَ وَٱلْأَنصَارِ﴾ [سورة التوبة، من الآية:١١٧]، ﴿وَٱلسَّٰبِقُونَ ٱلْأَوَّلُونَ مِنَ ٱلْمُهَٰجِرِينَ وَٱلْأَنصَارِ﴾ [سورة التوبة، من الآية:١٠٠]؛ فصار الاسم معروفًا، والوَصْف معروفًا، آخَى بينهم.

وفي قصص المُؤاخاة أدلَّة عظيمة جدًّا وكثيرة على عظمة الإيمان في قلوب المهاجرين والأنصار؛ كيف أنَّ المهاجري يمرُّ بالأنصاري ويرَى عنده أخاه الذي من أُمِّه وأبيه أسيرًا فيقول للأنصاري: شُدَّ عليه فإنَّ لأُمِّه مالًا كثيرًا. يا الله! أيُّ إيمانٍ هذا!

ويقول الأنصاري للمُهاجري: هذا مالي كلُّه أنصِفه لك. أيُّ إيمانٍ هذا!

هذا إيمانٌ ما سمِعَ بمثله، ولا يُسمَع بمثله.

قال:

ثُمَّ بَنَى بِابْنَةِ خَيْرِ صَحْبِهِ وَشُرِعَ الْأَذَانَ فَاقْتَدِ بِهِ

طبعًا هذه المسألة فيها خلاف؛ في أي سنةٍ بَنَى النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ بعائشة؟ والصحيح من أقوالهم ما ذكَرَه المُصنِّف: أنَّه ابتَنَى بعائشة في السنة الأُولَى من الهجرة، وكان عُمرها إذ ذاك تسع سنوات، وحديثها في [**صحيح البُخاري**]: كُنتُ ألعب مع الجواري فجاءَتْ أُمِّي وأخذتني وجهَّزتني، ثم قُلْنَ لِي: على خيرٍ ورفاءٍ -ونحو ذلك من الألفاظ-، فما رأيتُ إلَّا والنبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ يدخُل عليَّ ويُسلِّم.

(**ثُمَّ بَنَى بِابْنَةِ خَيْرِ صَحْبِهِ**)؛ وهي الصِّدِّيقة عائشة بنت الصِّدِّيق أبي بكر رَضِيَ اللهُ تَعَالَى عَنْهُمَا.

(**وَشُرِعَ الْأَذَانَ فَاقْتَدِ بِهِ**)؛ متى كان شِرعة الأذان؟ أيضًا الصحيح من أقوال أهل العلم: **أنَّ الأذان شُرِعَ في السنة الأُولَى في أوائل أيام مَقدَمه.**

كما تعلمون والحديث في الصحيحين من حديث عبد الله: أنَّ النبي عَلَيْهِ الصَّلَاةُ وَالسَّلَامُ اجتمَعَ مع المُهاجرين والأنصار بعد ما بنوا المسجد كيف يُنادُون للصلاة؟ أو حينما يبنون المسجد.

فقال بعضهم: نضرب ناقوسًا.

قال آخر: بل نُرسل رجُلًا يُنادي: الصلاة جامعة.

وقال آخر كذا، وقال آخر كذا.

فلم يجتمعوا على شيء، والنبي عَلَيْهِ الصَّلَاةُ وَالسَّلَامُ ينتظر الوحي من الله؛ فدخَلَ وقت الصلاة فأمَرَ رجُل أن يذهب ويُنادي بالناس: الصلاة جامعة. فذهب وصار يُنادي: الصلاة جامعة... الصلاة جامعة. حتى بات الناس من ليلتهم.

فرأَى عبد الله بن زيد وعُمر رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا رؤية الأذان كما هو معروف في كُتب الحديث.

(**فَاقْتَدِ بِهِ**)؛ أي: في إقامة الأذان، وفي النداء للصلاة في الأوقات المعروفة.

قال النَّاظم رَحِمَهُ ٱللَّهُ:

وَغَزْوَةُ الْأَبْوَاءِ بَعْدُ فِي صَفَرْ ... هَذَا وَفِي الثَّانِيَةِ الْغَزْوُ اشْتَهَرْ
إِلَى بُوَاطَ ثُمَّ بَدْرٍ وَوَجَبْ ... تَحَوُّلُ الْقِبْلَةِ فِي نِصْفِ رَجَبْ
مِنْ بَعْدِ ذِي الْعُشَيْرِ يَا إِخْوَانِي ... وَفَرْضُ شَهْرِ الصَّوْمِ فِي شَعْبَانِ
وَالْغَزْوَة الْكُبْرَى الَّتِي بِبَدْرِ ... فِي الصَّوْمِ فِي سَابِعِ عَشْرِ الشَّهْرِ
وَوَجَبَتْ فِيهِ زَكَاةُ الْفِطْرِ ... مِنْ بَعْدِ بَدْرٍ بِلَيَالٍ عَشْرِ
وَفِي زَكَاةِ الْمَالِ خُلْفٌ فَادْرِ ... وَمَاتَتِ ابْنَةُ النَّبِيِّ الْبَرِّ
رُقَيَّةٌ قَبْلَ رُجُوعِ السَّفْرِ ... زَوْجَةُ عُثْمَانَ وعُرْسُ الطُّهْرِ
فَاطِمَةٍ عَلَى عَلِيٍّ الْقَدْرِ ... وَأَسْلَمَ الْعَبَّاسُ بَعْدَ الأَسْرِ
وَقَيْنُقَاعُ غَزْوُهُمْ فِي الْإِثْرِ ... وَبَعْدَ ضَحًى يَوْمِ عِيدِ النَّحْرِ
وَغَزْوَةُ السَّوِيقِ ثُمَّ قَرْقَرَةْ ... وَالْغَزْوُ فِي الثَّالِثَةِ الْمُشْتَهِرَةْ

الشرح:

قال: (**وَغَزْوَةُ الْأَبْوَاءِ بَعْدُ فِي صَفَرْ**)؛ النبي عَلَيْهِ ٱلصَّلَاةُ وَٱلسَّلَامُ قَدِمَ في ربيعٍ الأول، ومكَثَ في المدينة يُؤسِّسها على أساس الدولة وليس على أساس قرية أو على أساس جماعة، لاح الآن بدأ في إنشاء دولة الإسلام كما قال عَلَيْهِ ٱلصَّلَاةُ وَٱلسَّلَامُ:«**بَدَأَ الْإِسْلَامُ غَرِيبًا، وَسَيَعُودُ غَرِيبًا كَمَا بَدَأَ**»؛ إنَّما كانت بدايته في المدينة من حيث تأسيس الدولة، وإن كان بداية الدعوة في مكة،

فجلَسَ في ربيعٍ الأول وربيعٍ الثاني، ثم جاء جُمادَى الأُولَى وجُمَادَى الثانية، ورجب، وعلى قول مَن قال: إنَّه قَدِمَ في رجب. فيكون جلَس شعبان، رمضان، شوَّال، وذِي القِعدة، وذِي الحِجَّة؛ كل هذه الأعمال يعملُها النبي عَلَيْهِ ٱلصَّلَاةُ وَٱلسَّلَامُ في هذه المدة.

ثم جاء صفر؛ أي: من نفس سنة هِجرته.

إذا نظرنا إلى أنَّه ما كمَّل إلى الآن سنة: فهو يعتبر في السنة الأُولَى.

إذا نظرنا أنَّه بدأ في العام الجديد (مُحرَّم، وصفر): فيكون بدأ في السنة الثانية.

ومن هنا الاختلاف في التوارِيخ قد يختلف بهذا الاعتبار؛ فبعضهم ينظُر أنَّ السنة تبتدئ من مَقدمه، وتنتهِي بمَقدَمه فتُقال: السنة الأُولَى.

وبعضهم يُلغِي هذا الفارق ويقول: السنة تبدأ؛ يعني: السنة الأُولى من الهجرة ناقصة في الشهور، السنة الثانية من مُحرَّم. وخلاص.

فبناءً على هذا لا ينبغي المُسارعة في تخطئة فلان، أو في إصابة فلان.

في «غزوة الأبواء»، وهي كانت في جهة السائر إلى ذِي الحُلَيْفة تجهَّز النبي لمَّا سَمِعَ أنَّ هناك عِيرًا لقريش فتجهَّز وأراد الاتِّجاه إلى الاستيلاء على هذه العِير، وكان هذا في صفر -كما قال المُصنِّف- من العام الأول من هجرة النبي عَلَيْهِ ٱلصَّلَاةُ وَٱلسَّلَامُ.

(**وَفِي الثَّانِيَةِ الْغَزْوُ اشْتَهَرْ**)؛ طبعًا كون النبي عَلَيْهِ ٱلصَّلَاةُ وَٱلسَّلَامُ ما غَزَا في السنة الأُولَى؛ هذا هو الصواب: أنَّه عَلَيْهِ ٱلصَّلَاةُ وَٱلسَّلَامُ لم يقع منه الغزو في السنة الأُولَى؛ وإنَّما كان تنسيق تأسيس المدينة، وكيفية الدِّفاع عن المدينة؛ وأمَّا بدايات الغزو فإنَّما كان مع بداية السنة الثانية من الهجرة.

قوله: (**هَذَا وَفِي الثَّانِيَةِ الْغَزْوُ اشْتَهَرْ**)؛ يعني: اشتهَرَ ابتداء غزوات النبي عَلَيْهِ ٱلصَّلَاةُ وَٱلسَّلَامُ.

(**إِلَى بُوَاطَ**)؛ وهذه لم يحصُل فيها قِتال؛ وإنَّما كان -كما يقوله بعض المؤرِّخين- كأنَّها للاستكشاف أو للاطِّلاع أو لإظهار القوَّة.

(**ثُمَّ بَدْرٍ**)؛ طبعًا هناك غزوة تسمَّى «غزوة بدرٍ الصُّغرى، وغزوة بدرٍ الكبرى»؛ مقصود المُصنِّف بهذا: (**ثُمَّ بَدْرٍ**)؛ يعني: «بدر الأُولى» أو «بدر الصغرى»؛ بعضهم يُسمِّيه «الأُولَى»، بعضهم يُسمِّيه «الصُّغرى»، وكان هذا أيضًا في نفس السنة الثانية في بداياتها.

قال: (**وَوَجَبْ تَحَوُّلُ الْقِبْلَةِ فِي نِصْفِ رَجَبْ**)؛ في السنة الثانية النبي عَلَيْهِ ٱلصَّلَاةُ وَٱلسَّلَامُ حين قَدِمَ المدينة وكان يُصلِّي عكس اتِّجاه القِبلة؛ لأنَّه عَلَيْهِ ٱلصَّلَاةُ وَٱلسَّلَامُ في شمال مكة، وبيت المقدِس في شمال المدينة، فإذا أراد أن يُصلِّي يكون ظَهره للكعبة وبيت المقدِس أمامه؛ فكان يُصلِّي إلى جهة بيت المقدِس.

جلَسَ على هذا الحال -كما في الصحيحين- سنةً وأشهُرًا.

وفي بعض الروايات: ستة عشر شهرًا.

في بعض الروايات: خمسة عشر شهرًا. سبعة عشر شهرًا.

وهكذا الاختلاف باختلاف طرح الكسور أو حِسبتها؛ المهم: أنَّه قطعًا جلَسَ سنةً وأشهُرًا وهو يُصلِّي إلى بيت المقدِس.

وكان عَلَيْهِ ٱلصَّلَاةُ وَٱلسَّلَامُ كثير الدُّعاء أن يجعل الله قِبلته قِبلة إبراهيم، وهذا الحُكم من الله جَلَّ وَعَلَا لبيان حِكمة ابتلاء للمؤمنين؛ ليعلَم مَن يثبُت.

وأيضًا ابتلاء لأهل الكتاب؛ لأنَّهم يعلمون أنَّ انبي يُصلِّي أولًا إلى بيت المقدِس، ثم يُصلِّي ثانيًا إلى مسجد الكعبة إلى مسجد إبراهيم عَلَيْهِ ٱلسَّلَامُ؛ فهذه من علامات النبوَّة؛ فالنبي عَلَيْهِ ٱلصَّلَاةُ وَٱلسَّلَامُ كان كثير الدُّعاء سنةً وأشهُرًا.

هذا يُعطِينا إحنا درس، بعض الناس يدعو يوم يومين، شهر شهرين، يقول: ما استُجِيب لي. نبيُّك صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ جلس سنة أو خمسة أشهُر أو ستة أشهُر يدعو الله أن يُحوِّل قِبلته إلى بيت المقدِس، أو سنة وأربعة أشهُر، طيب سنة كاملة وهو مَن هو! مُستجاب الدعوة صَلَوَاتُ رَبِّي وَسَلَامُهُ عَلَيْهِ، ومع ذلك الله جَلَّ وَعَلَا الأمور عنده بالمقادِير، بالحِكَم وليست الأمور تُؤخَذ منه غِلابًا تعالَى الله عن ذلك! فهو سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ استجاب لنبيِّه فقال: ﴿قَدْ نَرَىٰ تَقَلُّبَ وَجْهِكَ فِي ٱلسَّمَآءِ ۖ فَلَنُوَلِّيَنَّكَ قِبْلَةً تَرْضَىٰهَا ۚ فَوَلِّ وَجْهَكَ شَطْرَ ٱلْمَسْجِدِ ٱلْحَرَامِ ۚ وَحَيْثُ مَا كُنتُمْ فَوَلُّوا۟ وُجُوهَكُمْ شَطْرَهُۥ﴾[سورة البقرة، من الآية:١٤٤]؛ فجاء الأمر عام، فتحوَّل.

وأول صلاةٍ صلَّاها النبي عَلَيْهِ ٱلصَّلَاةُ وَٱلسَّلَامُ إلى البيت الحرام الصحيح أنَّه صلاة الفجر، وقِيل: صلاة الظُّهر. وقِيل: صلاة العصر.

وأمَّا أهل قُباء فلم يعلموا بذلك إلَّا من اليوم الثاني فجرًا؛ وأمَّا أهل القِبلتين (بني سَلِمَة) وهي ديارهم لم يعلموا بتحوُّل القِبلة إلَّا وهُم في صلاة العصر، فتحوَّلوا وهُم في الصلاة تحوَّلوا إلى جهة البيت الحرام. هذا معنى قوله: (**وَوَجَبْ تَحَوُّلُ الْقِبْلَةِ فِي نِصْفِ رَجَبْ**)؛ هذا أمر واجب.

(**تَحَوُّلُ الْقِبْلَةِ فِي نِصْفِ رَجَبْ**)؛ فتحوَّلوا إلى البيت الحرام، إلى مسجد الكعبة، إلى الكعبة.

النبي عَلَيْهِ ٱلصَّلَاةُ وَٱلسَّلَامُ لمَّا أراد بناء مسجده -نحن نقطع أنَّه عَلَيْهِ ٱلصَّلَاةُ وَٱلسَّلَامُ لا يعمل عمل إلَّا بوحي- جاء في بعض الروايات -وإن كانت من حيث السند فيها مقال-: أنَّ جبريل عَلَيْهِ ٱلسَّلَامُ كشَفَ له الحجاب فرأى الكعبة أمامه، فوضَعَ مسجده بحيث أنَّ الإمام يُصيب الكعبة تمامًا.

قد يقول قائل: طيب. كان مسجده لعكس القِبلة.

نقول: لا يضر؛ لأنَّ المسجد مبني هكذا، فالذي صلَّى إلى بيت المقدس يقف في النصف هناك، فإذا أراد أن يُحوِّل سيقف هنا؛ يعني: المسار واحد لكَّنه متعاكِس فقط؛ فلا تعارُض بين هذا وبين هذه الرواية.

وقوله: (**فِي نِصْفِ رَجَبْ**)؛ هذا ترجيح المُصنِّف، وهو الصواب.

فإذا قال قائل: كيف تقولون: في السنة في رجب، وفي رواية في الصحيح قال: خمسة عشر شهرًا، ستة عشر شهرًا؟

ما في تعارُض؛ لأنَّه -كما ذكرتُ- أحيانًا تُطرَح الكسور، وأحيانًا تبقَى.

قال: (**مِنْ بَعْدِ ذِي الْعُشَيْرِ يَا إِخْوَانِي**)؛ يعني: كان تحوُّل القِبلة من بعد غزوة ذِي العُشَيْر، وهذه الغزوة أيضًا ذهب فيها النبي عَلَيْهِ ٱلصَّلَاةُ وَٱلسَّلَامُ ومعه بعض أصحابه لتأديب الأعراب الذين كانوا يُؤذون أهل المدينة، وصار بسماع وانتشار خبر المسلمين وخروجهم في بعض الغزوات، كـ«غزوة بواط، وغزوة بدر، وغزوة ذِي العُشَيْر».

صار لهُم سُمعة، وصار لهُم مكانة، وصار لهُم هَيْبة، وصار الأعراب يخافونهم، فإذا سَمِعوا أنَّ هذه العِير التي ترعَى في المان الفلاني لأهل المدينة يتجنَّبون، ويعلمون أنَّهم عندهم قوة ومكنة؛ وهذه من حِكَم هذه الغزوات.

حتى وصل الخبر إلى قريش إلى أهل مكة: أنَّ المسلمين بدأوا يصُولون ويجولون بقوَّتهم وفُرسانهم حول المدينة، فصاروا بعد ذلك -لا سيَّما بعد «غزوة بدر الأُولى»، طبعًا «بدر» معروف هي بعيدة عن المدينة تقريبًا (١٢٠) كيلو، عين ماء يُقال له: «بدر»؛ فنُسِبَ إلى ذلك.

وكان الذي يأتي إلى مكة لا بد أن يمُرّ على بدر لأنَّهم يأخذون من ماء بدر ثم يتحرَّكون، هذا الماء يكفِيهم إلى أن يصل إلى وادي القُرَى، ثم إذا وصل إلى وادي القرى يأخذون مالًا حتى يصلوا إلى أطراف الشام.

فصار أهل مكة يحتاطون، فإذا صيَّروا قافلة يُسيِّرون معها بعض الفرسان، أو يُسيِّرون معها بعض العبيد للحِماية، أو بعض الخِفار للحفاظ وخوفهم من أهل المدينة من المسلمين؛ فكان «ذِي العُشَيْر» قبل تحوُّل القِبلة.

مِنْ بَعْدِ ذِي الْعُشَيْرِ يَا إِخْوَانِي وَفَرْضُ شَهْرِ الصَّوْمِ فِي شَعْبَانِ

باتِّفاق العلماء لا خلاف بينهم أنَّ الصوم والزكاة بالهيئة التي نحن نعلمها ونراها فُرِضتا في السنة الثانية.

فإن قال قائل: لكنَّا نرى في آيات الكتاب ذِكر الصوم وذِكر الزكاة قبل الهجرة!

فالجواب: أنَّها كالصلاة؛ الصلاة كانت موجودة قبل فَرْض الخمس، والزكاة كانت موجودة قبل الفرض الهيئة المُعيَّنة والصِّفة المُعيَّنة التي نحن نعلمها وندرُسها ونعمل بها.

الصوم كان مفروضًا عليهم، كانوا يصومون؛ لكن هل يصومون عاشوراء؟ أو يصومون أيام معيَّنة؟ كان موجود؛ لكن لم يكن شهر رمضان واجبًا عليهم.

فالذي فُرِضَ بالاتِّفاق من الصيام والزكاة هو الصوم الذي نحن نصومه في شهر رمضان: شهر كاملًا.

والزكاة التي نحن نُخرجها الواجب في أموالنا، سواء كانت ذهبًا أو فِضَّة، أو ما قام مقامهما، أو الزروع، أو الثِّمار، أو بهائم الأنعام..... إلى آخره.

إذًا. معنى قوله: (**وَفَرْضُ شَهْرِ الصَّوْمِ فِي شَعْبَانِ**)؛ هذه دِقَّة من المُصنِّف؛ يعني: مو الصوم فُرِضَ، قد يكون مفروض قبلها؛ ولذلك كان النبي عَلَيْهِ ٱلصَّلَاةُ وَٱلسَّلَامُ وأصحابه يصومون عاشوراء فرضًا؛ لأنَّ هذا كان من باقي دِين إبراهيم عَلَيْهِ ٱلسَّلَامُ، وكان الجاهليُّون يصومون عاشوراء.

ترى بعض الناس يظُنُّ أنَّ المُشركِين ما عندهم لا صلاة، ولا زكاة (صدقات)، ولا صوم... هذا غير صحيح؛ عندهم حج، وعندهم عُمرة، وعندهم الذي يقرأ كُتبهم وأشعارهم يعرف عندهم صوم،

وعندهم صلاة، وعندهم زكاة، وعندهم عُمرة، وعندهم حج؛ ليش مُشركِين؟ ما يُخلصون لله عَزَّوَجَلَّ، وهذا معنى ﴿ وَمَا يُؤْمِنُ أَكْثَرُهُم بِاللَّهِ إِلَّا وَهُم مُّشْرِكُونَ ﴾ [سورة يوسف، الآية:١٠٦]؛ يعتمرون لله ثم يعتمرون لغير الله.

يعني: مثل بعض المسلمين اليوم يشُدُّ رحله ويذهب إلى بيت الله ويطُوف، ثم يحُج ويعتمر، وإذا انتهَى من هذا يقول: أروح عند قبر سيدي فلان، أروح عند قبر فلان/ يا سيدي مدد يا كذا... وقَعَ في الشِّرك الأكبر، هذا نفس عمل المُشركِين، لا فَرْق.

ولذلك الذي لا يقرأ في تاريخ المُشركين قبل الإسلام لم يفهم حقيقة الإسلام، وأنا أنصحكم بقراءة كتاب [**الأصنام**] للثعالبي؛ فإنَّه كتاب يُبيِّن لك ما كان عليه المشركون، كتاب [**الأصنام**] هذا كتاب لطيف جدًّا يُبيِّن ماذا كانوا يفعلون عند أصنامهم وأوثانهم، صنم يصنعه بيده كما يصنع الوثنيُّ اليوم القبر بيده، لا فَرْق؛ لذلك هذه قضايا مهمة.

(**وَفَرْضُ شَهْرِ الصَّوْمِ فِي شَعْبَانِ**)؛ ففَرَضَ الله شهر رمضان أن يصومه المسلمون، فصامه النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ وأصحابه من المهاجرين والأنصار، فأول صِيمَ إنَّما كان في السنة الثانية من هجرة النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ.

وقوله:

وَالْغَزْوَةَ الْكُبْرَى الَّتِي بِبَدْرِ فِي الصَّوْمِ فِي سَابِعِ عَشْرِ الشَّهْرِ

وهذا أيضًا بالاتِّفاق أنَّ «غزوة بدر» كان في رمضان؛ لكن اختلفوا في أي يومٍ؟ في السابع عشر أو الحادي والعِشرين أو الثالث والعِشرين أو العشرة الأُوَل؟ اختلفوا في ذلك؛ جماهير المؤرِّخِين اختاروا أنَّ «غزوة بدرٍ الكبرَى» كانت في السنة الثانية في اليوم السابع عشر من رمضان، وقد ذكَرَ الله عَزَّوَجَلَّ هذه الغزوة وسمَّاها بـ «يوم الفُرقان» ﴿يَوْمَ ٱلْتَقَى ٱلْجَمْعَانِ﴾[سورة الأنفال، من الآية:٤١].

(**وَالْغَزْوَةَ الْكُبْرَى الَّتِي بِبَدْرِ**). (**بِبَدْرِ**)؛ كما سبق أن ذكرتُ: موضع ماء عينٍ قريبٍ من رابغ عن المدينة حوالي عشرين ومائة كيلو، على طريق السائر من المدينة إلى ناحية جدَّة إلى ناحية رابغ.

وَوَجَبَتْ فِيهِ زَكَاةُ الْفِطْرِ مِنْ بَعْدِ بَدْرٍ بِلَيَالٍ عَشْرِ

زكاة الفِطر بالاتِّفاق أيضًا فُرِضَتْ في السنة الثانية من الهجرة (**وَوَجَبَتْ فِيهِ**)؛ أي: في شهر رمضان من السنة الثانية.

وَوَجَبَتْ فِيهِ زَكَاةُ الْفِطْرِ مِنْ بَعْدِ بَدْرٍ بِلَيَالٍ عَشْرِ

وَفِي زَكَاةِ الْمَالِ خُلْفٌ فَادْرِ وَمَاتَتِ ابْنَةُ النَّبِيِّ الْبَرِّ

طبعًا هل زكاة المال فُرِضَتْ في السنة الثانية؟ هذا هو الراجح؛ ولكن فيه خلافٌ محكيٌّ؛ ولذلك قال: (**وَفِي زَكَاةِ الْمَالِ خُلْفٌ فَادْرِ**). (**خُلْفٌ**)؛ يعني: اختلافٌ واقعٌ، والراجح أنَّها في السنة الثانية على الهيئة والصورة التي نحن نعلمها الآن.

(**وَمَاتَتِ ابْنَةُ النَّبِيِّ الْبَرِّ**)؛ عُثمان رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ لم يشهَد غزوة بدر، والسبب في ذلك: أنَّ زوجته رُقيَّة كانت مريضة، فالنبي عَلَيْهِ الصَّلَاةُ وَالسَّلَامُ أمَرَه بأن يقيم عندها وما عندها أحد، وعُثمان هاجَر ما عنده أحد على أساس يؤكِّله ويكون معه؛ فأمَرَه النبي عَلَيْهِ الصَّلَاةُ وَالسَّلَامُ أن يبقَى في المدينة.

وفي بقائه في المدينة فوائد، منها: أنَّه كان شبيه الأمير في المدينة -كما بَقِيَ عليٌّ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ في المدينة في «غزوة تبُوك»، ثم بَقِيَ لأجل تمريض رقيَّة؛ ولذلك النبي عَلَيْهِ الصَّلَاةُ وَالسَّلَامُ ضرَبَ له سهمًا في غزوة بدر، هو الوحيد من الذين لم يخرجوا وضُرِبَ له بسهم؛ لماذا ضُرِبَ له بسهم؟ لأنَّه جلَس بأمر النبي عَلَيْهِ الصَّلَاةُ وَالسَّلَامُ.

(**وَمَاتَتِ ابْنَةُ النَّبِيِّ الْبَرِّ رُقَيَّةْ**)؛ كل بنات النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ بارَّات:

الكُبرى زينب.

ثم رُقيَّة على الترتيب العُمري.

وعلى الراجح: أم كلثوم ثم فاطمة، والمُصنِّف رجَّح العكس.

لو تذكرون: جعل زينب الأُولَى، ثم رُقيَّة، ثم فاطمة، ثم أم كلثوم.

قال:

وَمَاتَتِ ابْنَةُ النَّبِيِّ الْبَرِّ

رُقَيَّةٌ قَبْلَ رُجُوعِ السَّفْرِ

قبل أن يرجع النبي عَلَيْهِ ٱلصَّلَاةُ وَٱلسَّلَامُ من الغزوة، وقبل وصوله إلى المدينة كانت رُقيَّة قد ماتت وقام عُثمان رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُ بدَفنها فما نَفَضوا عن أيديهم التراب إلَّا وقد وصل جيش المسلمين، ففرِحَ المسلمون بالنصر وحزِنوا بموت ابنة النبي صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ رقيَّة رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهَا (**زَوْجَةُ عُثْمَانَ**) رَضِيَ اللهُ تَعَالَى عَنْهُ.

قال: (**وعُرْسُ الطُّهْرِ**)؛ يعني: في نفس السنة بعد القفول من غزوة بدرٍ كانت عُرْس فاطمة رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهَا، متى خطَبَها علي؟ الصحيح: أنَّه خطَبها في السنة الأُولَى؛ لكن ما استطاع الدخول عليها لعدم امتلاكه المال؛ لكن في غزوة بدرٍ امتلَكَ مالًا، حتى إنَّه أعدَّ ناقتين لأجل هذه الوليمة (وليمة العُرْس)؛ فكانت العُرس في السنة الثانية بالاتِّفاق بعد غزوة بدرٍ، وهذا هو الصواب، وأخطأ مَن ظنَّ أنَّ العُرس كان في السنة الأُولَى.

قال: (**وعُرْسُ الطُّهْرِ فَاطِمَةٍ**). (**فَاطِمَةٍ**)؛ الأصل أنَّها ممنوع من الصرف؛ لكنَّها صُرِف لأجل الوزن:

فَاطِمَةٍ عَلَى عَلِيٍّ الْقَدْرِ وَأَسْلَمَ الْعَبَّاسُ بَعْدَ الْأَسْرِ

النبي عَلَيْهِ ٱلصَّلَاةُ وَٱلسَّلَامُ وافَقَ على زواج فاطمة في السنة الثانية (**عَلَى عَلِيٍّ**)؛ وهو ابن أبي طالب، (**عَلِيٍّ الْقَدْرِ**)؛ عُثمان هو ابن عفَّان.

علي بن أبي طالب والنبي عَلَيْهِ ٱلصَّلَاةُ وَٱلسَّلَامُ من جهة، وعُثمان بن عفَّان من جهة يلتقون في الجَد الرابع يلتقون؛ ولذلك هُم أبناء عمومة.

وبنو أُميَّة وبنو العبَّاس أبناء عمومة؛ لأنَّ عُثمان بن عبد مناف بن عبد شمس. عثمان بن عفَّان بن عبد شمس بن عبد مناف؛ فيلتقِي مع النبي صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ في عبد مناف.

النبي صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ بن عبد الله بن عبد المطَّلب بن هاشم بن عبد مناف؛ فيلتقون في الجد الخامس.

وهكذا معاوية بن أبي سُفيان يلتقي مع النبي صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ في الجد الخامس.

ومن هنا تفهم معنى قول الحُسين لمَّا حاصره القَتَلة قال: ذروني أذهب إلى ابن عمِّي يَزِيد. كيف يكون ابن عمُّه؟ من هذه الجهة؛ لأنَّ ابن عم الوالد ابن عمك، ابن عم جدّك ابن عمّك؛ هذا معناه.

قال: (**فَاطِمَةٍ عَلَى عَلِيٍّ الْقَدْرِ**)؛ ولا شك أنَّ عليّ القَدْر هو عالٍ، وعُثمان قَدْره أعلى.

(**وَأَسْلَمَ الْعَبَّاسُ بَعْدَ الأَسْرِ**)؛ تعلمون أنَّه في غزوة بدر قُتِلَ من المُشركِين سبعون من صنادِيدهم، وأُسِرَ منهم سبعون، ومن الأسرَى كان العبَّاس، والعبَّاس يقول المؤرِّخون: أنَّه كان قد أسلَمَ وأخفَى إسلامه، وخَشِيَ إن لم يخرُج أن يفتضِح أمره، فبَخِلَ بماله وضنّ ولم يُظهِر الإسلام.

فلمَّا أُسِرَ قالوا: أنَّه قال للنبي عَلَيْهِ ٱلصَّلَاةُ وَٱلسَّلَامُ: إنِّي مسلم. قال: لو كان هذا قبل أَسْرِك قبِلنا منك؛ أمَّا الآن فلا. يعني: الآن تدَّعِي أنَّك مسلم ما يجعلك هذا أن يذهب المال الذي أسَرَك هدرًا تفتدي بنفسك، فإن كنتَ صادقًا في إسلامك فلن يضُرُّك بهذا المال؛ يُعوِّضك الله خيرًا؛ ولهذا قال الله جَلَّ وَعَلَا: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّبِيُّ قُل لِّمَن فِيٓ أَيۡدِيكُم مِّنَ ٱلۡأَسۡرَىٰٓ إِن يَعۡلَمِ ٱللَّهُ فِي قُلُوبِكُمۡ خَيۡرٗا﴾. ﴿خَيۡرٗا﴾؛ فُسِّرَ بالإسلام ﴿إِن يَعۡلَمِ ٱللَّهُ فِي قُلُوبِكُمۡ خَيۡرٗا يُؤۡتِكُمۡ خَيۡرٗا مِّمَّآ أُخِذَ مِنكُمۡ﴾ [سورة الأنفال، من الآية:٧٠]؛ فهذا معنى قول: (**وَأَسْلَمَ الْعَبَّاسُ بَعْدَ الأَسْرِ**)؛ أي: أظهَرَ الإسلام، وهذا معنى أَسْره.

فرجَعَ إلى مكة وهو مُظهِر الإسلام للمسلمين دون أهل مكة، حتى أهل مكة لا يعلمون بإسلامه؛ وإنَّما أظهَرَ الإسلام للمسلمين وقال لهم: أنا مسلم، وأنا عيبة نُصحٍ لكم، أُقيمُ في مكة. فأمَرَه النبي عَلَيْهِ ٱلصَّلَاةُ وَٱلسَّلَامُ أن يبقَى حتى يدفَع إليه بالأخبار.

قال: (**وَقَيْنُقَاعُ غَزْوُهُمْ فِي الإِثْرِ**)؛ يعني: في إثر غزوة بدر كان غزوة بني قَيْنُقاع.

وذكَرَ بعض المؤرِّخِين: أنَّ «غزوة بني قَيْنُقاع» المدينة كان فيها ثلاثة قبائل كبيرة من اليهود:

- فيها بنو قَيْنُقاع.
- وبنو النَّضِير.
- وبنو قُرَيْظة.

ثلاث قبائل كبيرة، وهؤلاء الذين عاهدهم النبي عَلَيْهِ ٱلصَّلَاةُ وَٱلسَّلَامُ وكان من ضِمن المعاهدات: أن لا يخفروا ذِمَّة مسلم، وأن لا يكيدوا للمسلمين.

وبنو قَيْنُقاع على وجه الخصوص كادوا للنبي عَلَيْهِ ٱلصَّلَاةُ وَٱلسَّلَامُ حتى حاولوا مرتين قَتْل النبي عَلَيْهِ ٱلصَّلَاةُ وَٱلسَّلَامُ:

في المرة الأُولى: عفا عنهم النبي عَلَيْهِ ٱلصَّلَاةُ وَٱلسَّلَامُ، وادَّعوا أنَّ ذلك إنَّما كان فِعل سُفهائهم ولم يعلم به حُكماؤهم.

في المرة الثانية: كان في بيت كُبرائهم فلمَّا أرادوا إيقاع الرَّحَى عليه أوحَى الله إليه، فخرج النبي عَلَيْهِ ٱلصَّلَاةُ وَٱلسَّلَامُ من بينهم ثم تجهَّز لغَزْوهم.

فجُلُّ المؤرِّخِين أنَّها كانت في السنة الثانية، والمُصنِّف رجَّح أنَّها في السنة الثانية.

(وَقَيْنُقَاعُ غَزْوُهُمْ فِي الْإِثْرِ)؛ يعني: بعد «بدرٍ الكُبرى».

(وَبَعْدَ ضَحًّى يَوْمِ عِيدِ النَّحْرِ)؛ يعني: أنَّ الله أوجَبَ -على قول مَن يَرَى الوجوب-، وسنَّ على قول مَن يرى السُّنِّيَّة- على المسلمين أو يُضحُّوا؛ إذًا في السنة الثانية أيضًا.

لو قال لك قائل: متى أوجَبَ الله الأُضحية؟

تقول: في السنة الثانية.

(وَبَعْدَ ضَحًّى يَوْمِ عِيدِ النَّحْرِ)؛ فيكون هذا أول عِيد الأضحَى في الإسلام فيه ذَبْح.

ثم قال:

وَغَزْوَةُ السَّوِيقِ ثُمَّ قَرْقَرَهْ وَالْغَزْوُ فِي الثَّالِثَةِ الْمُشْتَهِرَهْ

ذكَرَ المُصنِّف ورجَّح أنَّ «غزوة السَّوِيق»، و «غزوة القرقرة» أو «غزوة ذات القرقر»؛ كِلَا الغزوتين كانتا في السنة الثانية، هذا ترجيح المُصنِّف رَحِمَهُ ٱللَّهُ.

ولعلَّنا نكتفِي بهذا، ونتكلَّم بعد ذلك عمَّا يذكُره في السنة الثالثة.

وصلِّ اللهُمَّ على نبيِّنا محمد وعلى آله وصحبه أجمعين.

سؤال: أحسن الله إليكم..... (٥٢:٥٢)؟

الجواب: نعم، هذه أخوَّة ما يمكن نَسَبها، قال الله عن للوط عَلَيْهِ ٱلسَّلَامُ: ﴿إِذْ قَالَ لَهُمْ أَخُوهُمْ لُوطٌ﴾؛ فلوط ليس من نَسَبهم؛ ليس الله قاله عنه: ﴿أَخُوهُمْ﴾ [سورة الشعراء، من الآية:١٦١]؟

طالب: ..... (٥٣:٢٠).

هل لوط من نفس بني سدُوم ولَّا هو ابن عم إبراهيم؟ جاوبوا!

طالب: ..... (٥٣:٢٩).

ابن أخ إبراهيم؛ منين جاءوا؟ من العراق، وبني سدوم في فلسطين؛ ما في بينهم أي نَسَب، ﴿إِذْ قَالَ لَهُمْ أَخُوهُمْ لُوطٌ﴾؛ ما تجد أخوَّة أخرى إلَّا أخوَّة يُسمِّيه بعض العلماء «مكانيَّة»، في عُرفنا تُسمَّى «الأخوة الوطنية»، في السابقِين «أخوَّة مكانيَّة».

طيب. خلِّنا من هذا الحين لمَّا قال الله عَزَّوَجَلَّ عن هود: ﴿قَالَ لَهُمْ أَخُوهُمْ هُودٌ﴾ [سورة الشعراء، من الآية:١٢٤]، ﴿قَالَ لَهُمْ أَخُوهُمْ صَٰلِحٌ﴾ [سورة الشعراء، من الآية:١٤٢]، ﴿قَالَ لَهُمْ شُعَيْبٌ﴾ [سورة الشعراء، من الآية:١٧٧]؛ الآن سؤال: هل يمكن لرجُل أن يكون أخًا لكل القبيلة؟

مستحيل أن يكون أخًا لكل القبيلة؛ لأنَّ لا بد أن يكون في القبيلة مَن ليس أخًا له.

إذًا. ما إطلاق ﴿أَخُوهُمْ﴾؟ عنه جوابان:

إمَّا أن يقول: الأخوة المكانية.

وإمَّا أن يُقال: من باب الغَلَبة؛ لأنَّه يكون أخًا لأكثرهم، وإن لم يكن أخًا لكلِّهم.

سؤال: أحسن الله إليكم، ذكرتُم في اللقاء الماضي: أنَّ هناك خلاف في حديث شقّ صدر النبي صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ أنَّ الحادثة حدثَتْ مرتين؟

الجواب: نعم، هذا ذكرَه الحافظ ابن كثير؛ ذَكَرَ الحافظ ابن كثير رَحِمَهُ ٱللَّهُ: أنَّ الروايات التي فيها أنَّ النبي عَلَيْهِ ٱلصَّلَاةُ وَٱلسَّلَامُ شقَّ صدرَه وهو السنة الثانية وفي الرابعة؛ قال: لأنَّه فُعِلَ به مرتين. لكن هذا يحتاج إلى دليل.

سُبحانك اللهُمَّ وبحمدك، أشهد أن لا إله إلَّا أنت، أستغفرك وأتوب إليك.

سلسلة شروح فضيلة الشيخ

شرح

الأرجوزة الميئية

في ذكر حال أشرف البرية

للعلامة ابن أبي العز الحنفي

المتوفى سنة ٧٩٢ هـ

لفضيلة الشيخ الدكتور

محمد هشام طاهري

حفظه الله ورعاه

خدمة دروس الشيخ

ملاحظة: الشيخ لم يراجع التفريغ

رابط الدرس مرئي

https://www.youtube.com/watch?v=EKKHWXICʌlU&list=PLcHCzʌWLFx-qGquTCYziQxJnPGsO١EyVl&index=٣

(المجلس الثَّالث)

الحمد لله رب العالمِين، وصلَّى الله وسلَّم وبارَك وأنعَم على نبيِّنا محمد وعلى آله وصحبه أجمعين. وبعد...

فنحمد الله تَبَارَكَ وَتَعَالَى على ما مَنَّ به علينا وعليكم من هذا اللقاء لنُكمِل التعليق على [**الأُرْجُوزَةُ الْمِيئِيَّةُ فِي ذِكْرِ حَالِ أَشْرَفِ الْبَرِيَّةِ**] للعلَّامة أبي الحسن علي بن أبي العِز الحنفِي رَحِمَهُ ٱللَّهُ تعالى، وهي أُرجوزةٌ في سِيرة المصطفى المُجتبَى صَلَوَاتُ رَبِّي وَسَلَامُهُ عَلَيْهِ.

كُنَّا قد وقفنا على الشَّطر الثاني من البيت السابع والخمسين؛ فنبدأ على بركة الله تعالى، ونسأله جَلَّ وَعَلَا أن يرزُقنا وإيَّاكم العلم النافع والعمل الصالح.

المتن:

بسم الله، والصلاة والسلام على رسول الله.

اللهُمَّ اغفِر لنا ولشيخنا وللحاضرِين والسَّامعِين ولوالِدِينا ولجميع المسلمين.

قال العلَّامة رَحِمَهُ ٱللَّهُ أبي الحسن علي بن أبي العِزّ الحنفي رَحِمَهُ ٱللَّهُ:

وَغَزْوَةُ السَّوِيقِ ثُمَّ قَرْقَرَهْ ... وَالْغَزْوُ فِي الثَّالِثَةِ الْمُشْتَهِرَهْ

فِي غَطَفَانَ وَبَنِي سُلَيْمِ ... وَأُمُّ كُلْثُومَ ابْنَةُ الْكَرِيمِ

زَوَّجَ عُثْمَانَ بِهَا وَخَصَّهْ ... ثُمَّ تَزَوَّجَ النَّبِيُّ حَفْصَهْ

وَزَيْنَبًا ثُمَّ غَزَا إِلَى أُحُدْ ... فِي شَهْرِ شَوَّالٍ وَحَمْرَاءِ الْأَسَدْ

فَالْخَمْرُ حُرِّمَتْ يَقِينًا فَاسْمَعَنْ ... هَذَا وَفِيهَا وُلِدَ السِّبْطُ الْحَسَنْ

الشرح:

قوله: (**وَالْغَزْوُ فِي الثَّالِثَةِ الْمُشْتَهِرَهْ**)؛ يعني: الغزوات التي اشتُهِرَتْ في السِّيرة النبويَّة في السنة الثالثة هي على التوالي بالترتيب الذي ذَكَرَه المُصنِّف رَحِمَهُ ٱللَّهُ تعالى.

ومن جُملة ذلك وهي تعتبر من أُولَى الغزوات من حيث التفات النبي عَلَيْهِ ٱلصَّلَاةُ وَٱلسَّلَامُ ومَن معه من المسلمين إلى القبائل التي حول المدينة، ومن القبائل التي كانت حول المدينة: قبيلة غَطفان، وقبيلة بني سُلَيْم، ونحوهما من القبائل.

وغطفان هي القبائل العربية التي كانت تسكُن في شَمال شرق المدينة النبويَّة، حاليًا في جهة الحِناكيَّة، اللي راح المدينة يعرف منطقة الحناكيَّة وما حولها؛ هذه ديار بني غطفان.

وكذلك بني سُلَيْم وكان أيضًا هذه القبائل تسكُن في جهة المدينة؛ لكن نوعًا ما تعتبر في جهة الشرق الجنوبي.

غزوة غطفان إنَّما أراد بها النبي عَلَيْهِ ٱلصَّلَاةُ وَٱلسَّلَامُ أن يُعلِّم هؤلاء الأعراب أنَّ في المدينة قوة، وكان المقصود الأعظم هو دعوتهم إلى التوحيد فغزاهم النبي عَلَيْهِ ٱلصَّلَاةُ وَٱلسَّلَامُ؛ لكن لم يحصُل معركة ولا قِتال، والسبب في ذلك: أنَّ غطفان لمَّا سمِعَتْ بمقدم النبي عَلَيْهِ ٱلصَّلَاةُ وَٱلسَّلَامُ خرجوا بأنعامهم وإبلهم، وكانوا أهل رَعْيٍ وغنم؛ يعني بمعنى: أهل خِيام؛ فذهبوا وخرجوا إلى الجِبال فلم يحصُل فيه قتال.

ثم من الأحداث (**الْمُشْتَهَرَةْ**) أو (**الْمُشْتَهِرَةْ**)؛ يجوز فيه:

(**الْمُشْتَهِرَةْ**)؛ يعني تقول: (حدثٌ مُشتَهِرٌ)؛ يعني بمعنى: شَهِير.

و(مُشتَهَرٌ)؛ يعني بمعنى: اسم المفعول.

من الأحداث الشَّهيرة التي كانت في السنة الثالثة أيضًا: زواج بنت النبي عَلَيْهِ ٱلصَّلَاةُ وَٱلسَّلَامُ بعُثمان (**وَأُمُّ كُلْثُومَ ابْنَةُ الْكَرِيمِ**)؛ وذلك لأنَّ النبي عَلَيْهِ ٱلصَّلَاةُ وَٱلسَّلَامُ لمَّا قفَلَ من غزوة بدرٍ ووصَلَ إلى المدينة كانت رُقيَّة زوجة عُثمان قد توفِّيَتْ، ودفنها عُثمان وصلَّى عليها قبل مجيء النبي ووصول النبي عَلَيْهِ ٱلصَّلَاةُ وَٱلسَّلَامُ.

ثم إنَّ عُثمان -رَضِيَ اللهُ تَعَالَى عَنْهُ- جلَسَ عَزَبًا وكأنَّ الله عَزَّوَجَلَّ صَرَفَه عن الزواج لأمرٍ ما أراده الله تَبَارَكَ وَتَعَالَى؛ حتى إنَّ عُمر رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُ -كما في الصحيحين- عرَضَ على عثمان أن يُزوِّجه حفصة وذلك لأنَّ حفصة قد أُيِّمَتْ ومات عنها زوجها فأصبحَتْ بلا زوج، وخرجَتْ من عِدَّتها فعرَضَها عُمر على عثمان أولًا فقال: ليس لي إِرَبٌ في الزواج. فسُبحان مَن يصرِف عِباده عمَّا يشاء!

ثم إنَّ عُمر عرَضَ حفصة على أبي بكرٍ فسكَتَ ولم يرُدَّ عليه شيئًا كما هو معلوم؛ ذلك لأنَّ أبا بكرٍ كان قد عَلِمَ أنَّ النبي عَلَيْهِ ٱلصَّلَاةُ وَٱلسَّلَامُ قد ذكَرَها، وكان من فِطنة الصِّدِّيق ومن عظيم فِقهه أنَّه فَهِمَ أنَّ تعريض النبي عَلَيْهِ ٱلصَّلَاةُ وَٱلسَّلَامُ بها وهي في العِدَّة يعني: أنَّه يريدها؛ فسكَتَ لذلك.

فلمَّا خطبَها النبي عَلَيْهِ ٱلصَّلَاةُ وَٱلسَّلَامُ وكان ذلك أيضًا في نفس السنة وهي السنة الثالثة؛ لكن بعد زواج أم كلثوم بعُثمان، أو قبل زواج أم كلثوم بعُثمان. فيه خلاف بين العلماء، والأشهَر -والله أعلم- أنَّ زواج النبي عَلَيْهِ ٱلصَّلَاةُ وَٱلسَّلَامُ بحفصة كان قبل زواج أم كلثوم بعُثمان.

ولكن المُصنِّف رَحِمَهُ ٱللَّهُ رجَّح القول بأنَّ زواج عُثمان بها كان أقدَم؛ ولذلك قدَّمه.

(وَأُمُّ كُلْثُومَ)؛ هذا الاسم على صورة الكُنية لكنَّه اسمٌ، كما قِيل في أبي بكرٍ: أنَّه كُنيته. وقِيل: اسمه.

والصواب: أنَّ أبا بكر كُنية، واسمه عبد الله.

يقول: **(وَأُمُّ كُلْثُومَ ابْنَةُ الْكَرِيمِ)**؛ وهي أصغر بنات النبي عَلَيْهِ ٱلصَّلَاةُ وَٱلسَّلَامُ، وبنات النبي عَلَيْهِ ٱلصَّلَاةُ وَٱلسَّلَامُ من حيث السِّنِّ عند جمعٍ من أهل العلم:

كُبراهُنَّ زينب، ثم رقيَّة، ثم فاطمة، ثم أم كلثوم.

ومن أهل العلم مَن قال: لا؛ زينب، ثم رقيَّة، ثم أم كلثوم، ثم فاطمة.

والقول الثاني هو الأشهَر، وباتِّفاق المؤرِّخِين (زينب، ورُقيَّة، وأم كلثوم، وفاطمة)؛ كلهُنَّ من خديجة -رَضِيَ اللهُ تَعَالَى عَنْهَا-؛ فلا يُلتفتُ إلى قول بعض الروافض: أنَّ خديجة لم يُنجِب النبي عَلَيْهِ ٱلصَّلَاةُ وَٱلسَّلَامُ منها إلَّا فاطمة. ويزعمون أنَّ زينب وأنَّ رُقيَّة وأُم كلثوم إنَّما هُنَّ ربائب النبي عَلَيْهِ ٱلصَّلَاةُ وَٱلسَّلَامُ، وأنَّهُنَّ بنات خديجة من زوجها الأول؛ فهذا لا يساوِي فلسًا؛ لأنَّ الله جَلَّ وَعَلَا يقول: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّبِيُّ قُل لِّأَزۡوَٰجِكَ وَبَنَاتِكَ﴾ [سورة الأحزاب، من الآية:٥٩]؛ لو لم يكن للنبي عَلَيْهِ ٱلصَّلَاةُ وَٱلسَّلَامُ عددٌ من البنات لَمَا صحَّ الخطاب بـ﴿وَبَنَاتِكَ﴾؛ لَقال: «وبِنتكَ» لو كانت واحدة، كما قال جَلَّ وَعَلَا: ﴿مَّا كَانَ مُحَمَّدٌ أَبَآ أَحَدٖ مِّن رِّجَالِكُمۡ﴾ [سورة الأحزاب، من الآية:٤٠]؛ لأنَّ أولاده الذكور لم يبلغ ولا واحد منهم مبلغ الرجال.

إذًا **(وَأُمُّ كُلْثُومَ ابْنَةُ الْكَرِيمِ)**. **(الْكَرِيمُ)**؛ هو النبي عَلَيْهِ ٱلصَّلَاةُ وَٱلسَّلَامُ.

(زَوَّجَ عُثْمَانَ بِهَا)؛ وهنا لطيفة ذكَرَها بعض العلماء وهي من حيث الإسناد لا يصح؛ لكنَّه من حيث المعنى ومن حيث التأريخ مشهورٌ، وهو: أنَّ النبي عَلَيْهِ ٱلصَّلَاةُ وَٱلسَّلَامُ لا يتزوَّج ولا يُزوِّج إلَّا بأمر الله تَبَارَكَ وَتَعَالَى.

وهذه المسألة -وهي كون النبي عَلَيْهِ ٱلصَّلَاةُ وَٱلسَّلَامُ لا يتزوَّج ولا يُزوِّج إلَّا بأمر الله عَزَّوَجَلَّ - فيها تفصيلٌ، والصحيح: أنَّه -أعني: فِعل النبي عَلَيْهِ ٱلصَّلَاةُ وَٱلسَّلَامُ في التزويج أو في التزوُّج- سواء كان بأمر الله لفظًا أو لم يكن بأمر الله؛ فإنَّ فِعله وإقرار الله إيَّاه وحيٌ عند أهل السُّنَّة والجماعة، وعند مَن يعقِل عن الله ورسوله.

إذًا. تزويج النبي عَلَيْهِ ٱلصَّلَاةُ وَٱلسَّلَامُ وتزوُّج النبي عَلَيْهِ ٱلصَّلَاةُ وَٱلسَّلَامُ وحيٌ من الله؛ كما قال عَلَيْهِ ٱلصَّلَاةُ وَٱلسَّلَامُ في الصحيحين في ذاك المرأة التي وهبَتْ نفسها لها قال لذاك الرجُل الذي أرادها قال: «**زَوَّجْتُكَهَا بِمَا مَعَكَ مِنَ الْقُرْآنِ**»؛ فهذا وحيٌ من الله جَلَّ وَعَلَا.

قال: (**وَخَصَّهْ**)؛ أي: خصَّ عثمان بأُم كلثوم؛ ولذلك يُلقَّب عُثمان بـ «ذِي النورَيْن»؛ ذلك لأنَّ بنات النبي عَلَيْهِ ٱلصَّلَاةُ وَٱلسَّلَامُ أنوارٌ؛ ولهذا تُسمَّى فاطمة بـ «الزَّهراء»، والزَّهراء: المُنوَّر، والنور، وعُثمان «ذِي النورَيْن»؛ أي: ذِي الزواج بالنورَيْن أو صاحب النورَيْن، والمقصود بـ «النورَيْن»: وَصْف لرُقيَّة وأم كلثوم.

والصحيح: أنَّ عثمان رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُ أنجب من أم كلثوم ولدًا وكان اسمه عبد الله، وبه كان يُكنَى؛ ولذلك يُقال لعُثمان: أبي عبد الله.

وقِيل له: أبو عمرو. لأنَّه كان قد تزوَّج في الجاهليَّة وأنجب ولدًا سُمِّيَ عَمْرًا؛ لكن الثاني هو المشهور.

ثم إنَّ أم كلثوم تُوفِّيَتْ بعد ذلك، وكذلك ابن عُثمان عبد الله نَقَرَه دِيكٌ فمات من ذلك النَّقْر، ولم يُنجِب عُثمان لا من رقيَّة ولا من أم كلثوم، ثم جاءَتْ الروايات أنَّه عَلَيْهِ ٱلصَّلَاةُ وَٱلسَّلَامُ قال له -هذا من حيث كُتب التاريخ والسِّيرة، وإن لم يثبُت الإسناد-: «**لَوْ كَانَ عِنْدَنَا ثَالِثَةٌ لَزَوَّجْنَاكَهَا**».

قال:

ثُمَّ تَزَوَّجَ النَّبِيُّ حَفْصَةْ

وَزَيْنَبًا ثُمَّ غَزَا إِلَى أُحُدْ فِي شَهْرِ شَوَّالٍ وَحَمْرَاءِ الْأَسَدْ

أي: في نفس السنة -وهي الثالثة- كان زواج النبي عَلَيْهِ ٱلصَّلَاةُ وَٱلسَّلَامُ من حفصة، فلمَّا تزوَّجها النبي عَلَيْهِ ٱلصَّلَاةُ وَٱلسَّلَامُ لَقِيَ أبو بكرٍ عُمر فقال: يا أخي، لعلَّك وجدتَ في نفسك شيئًا إذ عرضْتَ عليَّ حفصة فلم أرُدَّ عك شيئًا! قال: نعم.

قال: إنِّي سمِعتُ النبي عَلَيْهِ ٱلصَّلَاةُ وَٱلسَّلَامُ يذكُرها، وما كُنتُ لأُفشِيَ سر رسول الله صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ.

وكذلك في نفس السنة تزوَّج النبي عَلَيْهِ ٱلصَّلَاةُ وَٱلسَّلَامُ من زينب الهلاليَّة **(ثُمَّ غَزَا إِلَى أُحُدْ)**.

واتِّفاق المؤرِّخِين أنَّ غزوة أُحُد كانت في السنة الثالثة من الهجرة، ولا خلاف بينهم في ذلك، **والصواب**: أنَّ هذه الغزوة كانت في شهر شوال بعد رمضان، بعد صيام أول صيامٍ صامَهُ المسلم، وبعد أول رمضانٍ عاشَه المسلم، وبعد أول عِيد شَهِدَه المسلمون بعد رمضان؛ لأنَّه مرَّ معنا أنَّ شهر رمضان صامه المسلمون في السنة الثانية على الصحيح من أقوال أهل العلم.

وكلُّكم تعرفون قصة «غزوة أُحُد» التي ذكَرَها الله جَلَّ وَعَلَا في «سورة آل عِمران» على وجه الخصوص، وما حصَلَ فيه من الأحداث؛ لكنِّي أريد أن أُنبِّه على أمرين:

الأول: خطورة مخالفة الشرع؛ فإنَّ ذلك سببٌ للهزيمة.

وإذا كان سيِّد الخَلْق -صَلَوَاتُ رَبِّي وَسَلَامُهُ عَلَيْهِ- ومعه خِيرة الأُمَّة وخِيار المِلَّة من المهاجرين والأنصار انهزموا وقُتِلَ منهم سبعون، وتَرَكَ ساحة القِتال مَن تَرَكَ حتى نصَرَهم الله جَلَّ وَعَلَا بعد ذلك؛ فإنَّ في ذلك دِلالة على أنَّ المسلمين إذا لم ينصروا الله لن يجدوا نَصْر الله جَلَّ وَعَلَا.

ولو أنَّ فئةً قليلةً منهم نصرَتْ الله تَبَارَكَ وَتَعَالَى لَوجدَتْ النُّصرة.

ولو أنَّ أُناسًا صَدقوا مع الله لَوجدوا الظَّفر الموعود في كتاب الله ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ إِن تَنصُرُواْ ٱللَّهَ يَنصُرۡكُمۡ وَيُثَبِّتۡ أَقۡدَامَكُمۡ ﴾ [سورة محمد، الآية:٧]، ﴿ كَم مِّن فِئَةٖ قَلِيلَةٍ غَلَبَتۡ فِئَةَۢ كَثِيرَةَۢ بِإِذۡنِ ٱللَّهِۗ وَٱللَّهُ مَعَ ٱلصَّٰبِرِينَ ﴾ [سورة البقرة، من الآية:٢٤٩]؛ لكن مَن هي هذه الفئة القليلة؟ هي الفئة التي صدقَتْ مع الله

جَلَّوَعَلَا ، صدقَتْ في إخلاصها، في نيَّتها، في اتِّباعها، في تَرْك العلائق مع الخلائق، وتقوية العلائق بالخالق جَلَّوَعَلَا، فمتى ما انقطعَتْ الآمال عن الخَلْق جاءَتْ البِشارات من الخالِق.

أمَّا إذا كان القلب مُعلَّقًا بزيدٍ وعمرٍو، وفلانٍ وفلان فلن يجد الإنسان النَّصر والظَّفر.

الأمر الثاني الذي أريد أن أُنبِّه عليه: أنَّ المشهور في كُتب التاريخ والسِّيَر: أنَّ «غزوة أُحُد» هي هزيمة.

وإن كان مراد هؤلاء المؤرِّخِين والكَتَبة أنَّ الغزوة انقلبَتْ من نصرٍ إلى هزيمةٍ، ثم نصر: فهذا مقبول.

أمَّا إذا كان المقصود: أنَّ الغزوة انقلبَتْ من نصرٍ إلى هزيمةٍ فقط: فهذا غير مقبول.

وممَّا يدلُّ على أنَّ «غزوة أُحُد» مرَّتْ بهذه المراحل الثلاث (نصرٌ ثم هزيمةٌ ثم نصرٌ)، الذي يدلُّنا على أنَّ الظَّفر والنَّصر كان للمؤمنين في أُحُد أستدلُّ على ذلك بدليلَيْن ذكَرَهما مشايخنا نقلًا عنهما وإقرارًا:

الأول: أَلَا ترونَ أنَّ المنتصِر لا بد أن يحصُل شيئًا من الأُسارَى. ولَّا لا؟ طيب. لماذا لم يأسِروا؟ لو كان النَّصر لقريشٍ فلماذا لم يأخُذوا المسلمين أُسارَى؟ هذا دليل أكيد على أنَّهم إنَّما اكتفوا بما يُسمِّيه بعض علماء الحرب وبعض علماء الجيش في عصرنا المُعاصِر ما يُسمِّيه بـ«النصر الموهوم»؛ اكتفوا بالنَّصر الموهوم، فأرادوا أن ينصرفوا من ساحة المعركة قبل أن تعمل فِيهم سيوف المسلم؛ ولذلك ما اهتمُّوا لا بجَمْع غنيمةٍ، ولا بأَخْذ الأُسارَى.

فإذًا هذه الغزوة انقلبَتْ إلى نصر في نهاية الأمر.

وممَّا يدلُّ على ذلك ما جاء في الصحيح -يا إخوان، دائمًا عندنا قاعدة «أنَّ ما جاء في القرآن والسُّنَّة يُقدَّم على كل شيء»- أنَّ أبا سُفيان نادَى: أفِيكم محمد؟ أفيكم أبو بكر؟ أفِيكم عُمر؟ فالنبي عَلَيْهِ ٱلصَّلَاةُ وَٱلسَّلَامُ يُسكِّت عُمر يقول: «لا تُجاوب»، في الأخير عُمر جاوبه؛ يدلُّ على منطق القوَّة قال: أخزاكَ الله! فإنَّ هؤلاء أحياء، وسوف يُخزِيك الله. مباشرةً هرب أبو سُفيان ومَن معه، خرج.

الدليل الثاني: أنَّهم إنَّما اكتفوا بالنَّصر الموهوم وعَلِموا أنَّ الدائرة تدُور عليهم أنَّهم لم يذهبوا إلى المدينة لأَخْذ الأطفال والذَّراري، وكان هذا أمرًا معروفًا عند العرب أنَّهم إذا هَزَموا مَن يُقاتلهم يأخذون الذَّراري والأولاد والأنعام، و... و... إلى آخره.

فهذا دليلٌ أكيد يدلُّنا على أنَّ «أُحُد» إنَّما كان نصرًا ثم هزيمة ثم نصر.

وهذا نبَّه عليه بعض مشايخنا الذين كَتَبوا في التاريخ، مثل شيخنا الدكتور محمد ابن عبد الله آل غبَّان حَفِظَهُ اللهُ وَنَفَعَ بِهِ.

قال: (**وَحَمْراءِ الْأَسَدْ**). (**حَمْراءِ الْأَسَدْ**)؛ كان مباشرةً بعد «غزوة أُحُد»؛ حيث إنَّ النبي عَلَيْهِ ٱلصَّلَاةُ وَٱلسَّلَامُ لمَّا وصَلَ إلى المدينة جاء إلى مسامعه أنَّ كُفَّار قريشٍ أرادوا أن يرجعوا مرةً أخرى، ونَدِموا كيف تَرَكوا المسلمين وفيهم الجراحات والقَتلَى، وفيهم... وفيهم... وفيهم. فقالوا: نرجع ونستأصِلهم.

فلمَّا سَمِعَ النبي عَلَيْهِ ٱلصَّلَاةُ وَٱلسَّلَامُ بهذا سار بمَن معه من المسلمين إلى جهة جنوب مكة في منطقةٍ يُقال لها: حمراء الأسد، ما بين السبعين إلى الستين كيلو تقريبًا، فلمَّا وصلوا إلى هناك وسَمِعَ المُشركِين بمسِير المسلمين ألقَى الله الرُّعبَ في قلوبهم أكثر فأكثر، فاكتفوا بالنصر الموهوم الأول؛ فرجعوا مقهورِين.

إذًا. «غزوة حمراء الأسد» أيضًا لم يحصل فيه مسايفةٌ كما يُقال.

قال:

فَالْخَمْرُ حُرِّمَتْ يَقِينًا فَاسْمَعَنْ هَذَا وَفِيهَا وُلِدَ السِّبْطُ الْحَسَنْ

الخمر حُرِّمَتْ نهائيًّا في السنة الثالثة من الهِجرة على قول أكثر المؤرِّخِين، وأنزل الله عَزَّوَجَلَّ فيه قوله: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ إِنَّمَا ٱلۡخَمۡرُ وَٱلۡمَيۡسِرُ وَٱلۡأَنصَابُ وَٱلۡأَزۡلَٰمُ رِجۡسٞ مِّنۡ عَمَلِ ٱلشَّيۡطَٰنِ فَٱجۡتَنِبُوهُ لَعَلَّكُمۡ تُفۡلِحُونَ ٩٠ إِنَّمَا يُرِيدُ ٱلشَّيۡطَٰنُ أَن يُوقِعَ بَيۡنَكُمُ ٱلۡعَدَٰوَةَ وَٱلۡبَغۡضَآءَ فِي ٱلۡخَمۡرِ وَٱلۡمَيۡسِرِ وَيَصُدَّكُمۡ عَن ذِكۡرِ ٱللَّهِ وَعَنِ ٱلصَّلَوٰةِۖ فَهَلۡ أَنتُم مُّنتَهُونَ﴾ [سورة المائدة، الآيتان: ٩٠، ٩١]؟ قالوا: انتهَيْنا... انتهَيْنا..

وتعلمون أنَّ تحريم الخمر كان على مراحل:

في مكة: أشار الله جَلَّوَعَلَا في «سورة النحل» قال: ﴿تَتَّخِذُونَ مِنْهُ سَكَرًا وَرِزْقًا حَسَنًا﴾[سورة النحل، من الآية:٦٧]؛ فهذا فيه دِلالة على أنَّ السَّكَر مذموم.

وأيضًا بعد ذلك لمَّا هاجَر النبي عَلَيْهِ ٱلصَّلَاةُ وَٱلسَّلَامُ في السنة الأُولى نَهَى الله عَزَّوَجَلَّ الصحابة أن يقرُبوا الصلاة مع النبي عَلَيْهِ ٱلصَّلَاةُ وَٱلسَّلَامُ في المسجد وهُم سُكارَى فقال: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ لَا تَقۡرَبُواْ ٱلصَّلَوٰةَ وَأَنتُمۡ سُكَٰرَىٰ حَتَّىٰ تَعۡلَمُواْ مَا تَقُولُونَ﴾ [سورة النساء، من الآية:٤٣].

ثم في المرة الثالثة حرَّم الخمر تحريمًا مؤبَّدًا إلى يوم القيامة.

وفي [**صحيح البُخاري**] من حديث عليٍّ رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُ: أنَّ عليًّا رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُ أغنَمه الله في غزوة بدرٍ شيئًا من الإبل، وكان يريد أن يجعل ذلك مهرًا ووليمةً لعُرسِه؛ ولكن حمزة -رَضِيَ اللهُ تَعَالَى عَنْهُ- كان ثَمُلَ وشَرِبَ الخمر فرأى الشارفَيْن وهُما مُعقَّلان أمام بيت رجلٍ من الأنصار، فقام إليهما لمَّا سَمِعَ الغناء وهو في سَكَرٍ فجَبذَ أسنِمَة الشارفَيْن؛ فاضطرُّوا إلى أن يذبحوا الشارفَين قبل أن يموتا. فهذا أيضًا دليل يؤكِّد أنَّ الخمر إلى ما بعد غزوة بدرٍ لم يكُن مُحرَّم، ثم بعد ذلك حُرِّمَتْ.

(وَفِيهَا وُلِدَ السِّبْطُ الْحَسَنْ)؛ سَبق أن ذكرْنَا أنَّ زواج علي -رَضِيَ اللهُ تَعَالَى عَنْهُ- من فاطمة رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهَا إنَّما كان بعد غزوة بدرٍ على الصحيح من أقوال أهل العلم، وغلط مَن ظنَّ أنَّه كان قبل غزوة بدر.

ويصح أن يُقال: إنَّ الخِطبة كانت قبل الغزوة، وأنَّ الدخول إنَّما كان بعد الغزوة أو الوليمة كانت بعد الغزوة.

ثم إنَّها حملَتْ بعد ذلك بالحسن فوُلِدَ الحسن في السنة الثالثة من الهجرة النبويَّة، وهذا لا خلاف فيه بين أهل العلم.

وعلى هذا: فيكون عُمر الحسن حين وفاة النبي عَلَيْهِ ٱلصَّلَاةُ وَٱلسَّلَامُ سبع سنواتٍ، كما أنَّ عُمر الحُسين خمس سنواتٍ أو ستٌّ؛ وأمَّا مُحسن فمات صغيرًا.

قال المؤلِّف رَحِمَهُ ٱللَّهُ:

وَكَانَ فِي الرَّابِعَةِ الْغَزْوُ إِلَى ... بَنِي النَّضِيرِ فِي رَبِيعٍ أَوَّلَا
وبَعْدُ مَوْتُ زَيْنَبَ الْمُقَدَّمَةْ ... وَبَعْدَهُ نِكَاحُ أُمِّ سَلَمَةْ
وَبِنْتِ جَحْشٍ ثُمَّ بَدْرِ الْمَوْعِدِ ... وَبَعْدَهَا الْأَحْزَابُ فَاسْمَعْ وَاعْدُدِ
ثُمَّ بَنُو قُرَيْظَةٍ وَفِيهِمَا ... خُلْفٌ وَفِي ذَاتِ الرِّقَاعِ عُلِّمَا
كَيْفَ صَلَاةُ الْخَوْفِ وَالْقَصْرُ نُمِي ... وَآيَةُ الْحِجَابِ وَالتَّيَمُّمِ
قِيلَ: وَرَجْمُهُ الْيَهُودِيَّيْنِ ... وَمَوْلِدُ السِّبْطِ الرِّضَا الْحُسَيْنِ

الشرح:

يعني: هذه أحداث السنة الرابعة من هجرة المصطفى صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ.

سبب غزوة بني النَّضِير: مرَّ معنا سبب غزوة بني قَيْنُقاع من اليهود غَدْرهم؛ أمَّا بنو النَّضِير فلمَّا رأوا أنَّ المسلمين قُتِلَ منهم سبعون، وجُرِحَ منهم الكثير ظنُّوا أنَّهم قد ضعفوا؛ فصاروا يستهزؤون ويضحكون بالإسلام والمسلمين، ومع ذلك كان عَلَيْهِ ٱلصَّلَاةُ وَٱلسَّلَامُ -وهو الذي أُعطِيَ الرأفة والرحمة والشَّفقة على مَن تحت يده ولو كان ذِمِّيًّا (أهل عهدٍ وكُفرٍ) كاليهود- يصبِر عليهم حتى وُجِدَ منهم الفِعل القبيح الذي لا يمكن تحمُّل هذا الأمر معهم؛ وذلك أنَّ امرأةً من المسلمين كانت في السوق وإذا برجُلٍ من بني النَّضِير يجُرُّ خِمارها ويكشِف سِترها، وحينها تداعَى المسلمون إلى الانتصار لها.

فأمَرَ النبي عَلَيْهِ ٱلصَّلَاةُ وَٱلسَّلَامُ الصحابة بالمسِير إلى بني النَّضِير، وكانوا يسكنون قريبًا من جهة قُباء، وأراد إجلاءهم من المدينة بالكلية كإخوانهم الذين سبقُوهم من بني قَيْنُقاع.

وسار إليهم النبي عَلَيْهِ ٱلصَّلَاةُ وَٱلسَّلَامُ بمَن معه من الصحابة متجهِّزين للقِتال إذا لم يذعنوا للأمر الصادر من الحاكم في المدينة وهو النبي عَلَيْهِ ٱلصَّلَاةُ وَٱلسَّلَامُ.

فلمَّا وصل إليهم كانوا يريدون في بدء الأمر أن يتحصَّنوا في حصونهم، وأن يُقاتلوا المسلمين بنِبالهم وبسِهامهم؛ لكن بعد ذلك ألقَى الله الرُّعب في قلوبهم فنزلوا على أن يُفاوضوا النبي عَلَيْهِ ٱلصَّلَاةُ وَٱلسَّلَامُ كما فاوَضَ بنوا قَيْنُقاع.

ففاوضوا النبي عَلَيْهِ ٱلصَّلَاةُ وَٱلسَّلَامُ فوافَقَ على إجلائهم لكن شَرَطَ عليهم شرطًا أعظم من شَرْطه على بني قَيْنُقاع؛ فإنَّه عَلَيْهِ ٱلصَّلَاةُ وَٱلسَّلَامُ أجلَى بني قَيْنُقَاع على أن يحملوا ما شاءوا معهم؛ أمَّا هؤلاء فإنَّما وافَقَ على أن يجلوا من المدينة وأن يخرجوا من المدينة بشرط أن لا يحملوا السلاح، يحملوا ما يشاءون معهم إلَّا السلاح من دروعٍ، ونِبالٍ، وسِهامٍ، وعتادٍ؛ فيبقَى للمسلمين؛ فكان الأمر ولله الحمد والمِنَّة.

وهذا الإجلاء داخلٌ فيما ذكَرَه الله جَلَّ وَعَلَا في أول «سورة الحشر» قال جمعٌ من أهل العلم: المعنِيُّ بهم بنو النَّضِير. وكان هذا في ربيعٍ الأول؛ أي: من السنة الرابعة.

(**وبَعْدُ مَوْتُ زَيْنَبَ الْمُقَدَّمَةْ**)؛ في نفس العام في السنة الرابعة تُوفِّيَتْ زينب بنت النبي عَلَيْهِ ٱلصَّلَاةُ وَٱلسَّلَامُ، وهذا قول لجمعٍ من أهل العلم، وقِيل: تأخَّر وفاتها إلى السنة السابعة.

قال: (**وَبَعْدَهُ نِكَاحُ أُمِّ سَلَمَةْ**)؛ واسمُها هند بنت أبي أُميَّة القُرشيَّة، وكانت امرأةً مُسِنَّة قد جاوزَتْ الخمسين، وعندها أولاد، فلمَّا أراد النبي عَلَيْهِ ٱلصَّلَاةُ وَٱلسَّلَامُ الزواج منها اعتلَّتْ بسنِّها، وبأولادها، وبغَيْرتها؛ ثلاثة أمور.

فقال النبي عَلَيْهِ ٱلصَّلَاةُ وَٱلسَّلَامُ للوسيط الذي بينه وبينها قال: «**أَمَّا الْغَيْرَةُ فَأَدْعُو اللهَ أَنْ يُذْهِبَ غَيْرَتَهَا، وَأَمَّا السِّنُّ فَإِنِّي أَسَنُّ مِنْهَا، وَأَمَّا الْعِيَالُ فَهُمْ عِيَالِي**»؛ فرضِيَتْ بذلك.

وقد جاء في الصحيح -وكلُّنا نعلم هذا الحديث- أنَّها قالت: سمِعتُ النبي عَلَيْهِ ٱلصَّلَاةُ وَٱلسَّلَامُ يقول: «**مَا مِنْ مُسْلِمٍ يُصَابُ بِمُصِيبَةٍ فَيَقُولُ: إِنَّا لِلَّهِ وَإِنَّا إِلَيْهِ رَاجِعُونَ... اللَّهُمَّ أْجُرْنِي فِي مُصِيبَتِي وَاخْلُفْنِي خَيْرًا مِنْهَا إِلَّا آجَرَهُ اللهُ فِي مُصِيبَتِهِ وَأَخْلَفَهُ خَيْرًا مِنْهَا**». قالت: فلمَّا تُوفِّيَ أبو سَلَمَة قلتُ هذا الدُّعاء -وهذه فائدة أيش؟ تطبيق السُّنَّة-، ثم تقول: قلتُ في نفسي: ومَن خيرٌ من أبي سَلَمة؟ قال: فأبدلني الله برسول الله صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ.

قال: (**وَبِنْتِ جَحْشٍ**)؛ يعني: زينب بنت جحش أيضًا تزوَّجها النبي عَلَيْهِ ٱلصَّلَاةُ وَٱلسَّلَامُ -على قول المُصنِّف- في السنة الرابعة، وهي بنت عمَّة النبي عَلَيْهِ ٱلصَّلَاةُ وَٱلسَّلَامُ.

وبناءً على ذلك نعلم أنَّ إبطال التبنِّي إنَّما كان في السنة الرابعة أيضًا؛ فإنَّ زينب بنت جحش زوَّجها النبي عَلَيْهِ ٱلصَّلَاةُ وَٱلسَّلَامُ بنفسه لمولاه الذي كان يُنادَى باسمه وهو زيد، وكان يُنادَى قبل ذلك بـ «زيد بن محمد» ولا يُنادَى بـ «زيد بن حارثة»؛ فزوَّجه النبي عَلَيْهِ ٱلصَّلَاةُ وَٱلسَّلَامُ وهو عبدٌ مُحرَّرٌ من قرشِيَّة.

وهذا يدلُّ على بُطلان قول مَن زعَمَ من الفقهاء بأنَّه لا يصحُّ زواج القرشيَّة من غير القُرشي؛ هذا أكبر دليل على بُطلان هذا القول، وإن كانت مسألة الكفاءة مسألةٌ مستحبَّة فهذا أمر لا بأس به لدوام العِشرة؛ فإنَّ الكفاءة الدِّينيَّة والكفاءة الاجتماعية سببٌ من أسباب دوام العِشرة.

إذًا النبي عَلَيْهِ ٱلصَّلَاةُ وَٱلسَّلَامُ تزوَّج من زينب بنت جحش بعدما طلَّقها زيد بن حارثة، وكان النبي عَلَيْهِ ٱلصَّلَاةُ وَٱلسَّلَامُ يعلم أنَّه إذا طلَّقها فإنَّ الله سيأمُره بالتزوُّج منها فكان يقول له: «**اتَّقِ اللهَ وَلَا تُطَلِّقْهَا**»، وهو يقول: لا أستطيع أن أصبِر. فهذا الذي قال الله عَزَّوَجَلَّ فيه: ﴿ وَإِذْ تَقُولُ لِلَّذِىٓ أَنْعَمَ ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَأَنْعَمْتَ عَلَيْهِ أَمْسِكْ عَلَيْكَ زَوْجَكَ وَٱتَّقِ ٱللَّهَ وَتُخْفِى فِى نَفْسِكَ مَا ٱللَّهُ مُبْدِيهِ ﴾ [سورة الأحزاب، من الآية:٣٧]؛ أي: تُخفِي في نفسك أنَّ الله سيزوِّجُك، والله سيُبدِي هذا الأمر وسيأمُرك بالزواج منها.

وليس الأمر كما زعَمَ بعض المُفسِّرين أنَّه رأى زينب بنت جحشٍ فأُعجِبَ بها، كيف وهي ابنة عمَّته، وهو كان يراها قبل الحجاب، وهو الذي زوَّجها لزيد؟! هذا الكلام غير مقبول لا من ناحية العقل، وغير ثابتٍ من ناحية النَّقل.

قال: (**ثُمَّ بَدْرِ الْمَوْعِدِ**)؛ يقصد بـ (**بَدْرِ الْمَوْعِدِ**)؛ أنَّ أبا سُفيان لمَّا اكتَفَى بالنصر الموهوم في «غزوة أُحُد» قال: وموعدنا العام القادم في شوَّال في بدر؛ فذهب النبي عَلَيْهِ ٱلصَّلَاةُ وَٱلسَّلَامُ وهو لا يُخلِف الوعد -صَلَوَاتُ رَبِّي وَسَلَامُهُ عَلَيْهِ- وخرَجَ بمَن معه من المسلمين حتى ورَدَ ماء بدرٍ ووجد الكُفَّار لم يجيئوا؛ بل خافوا وألقَى الله الرُّعب في قلوبهم.

قال: (**وَبَعْدَهَا الْأَحْزَابُ فَاسْمَعْ وَاعْدُدِ**)؛ هذه المسألة فيها خلاف بين العلماء:

الجمهور: أنَّ «غزوة الأحزاب» من غزوات السنة الخامسة.

والمُصنِّف رَحِمَهُ ٱللَّهُ: جعل الأحزاب من غزوات السنة الرابعة.

وعلى كل حال فإنَّ هذا الاختلاف لا إشكال فيه؛ لماذا؟ لأنَّ حِسبة السنوات اختلفَتْ عن الواقع؛ فإنَّ عُمر رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُ لمَّا أرَّخ ووضَعَ التاريخ ما وضَعَ التاريخ من يوم مَقدَم النبي عَلَيْهِ ٱلصَّلَاةُ وَٱلسَّلَامُ حتى

يكون العام موافقًا للواقع؛ إنَّما وضَعَ التاريخ من مَقدَمه لكن جعَلَ الشهر الأول هو المُحرَّم، ومعلوم أنَّ النبي عَلَيْهِ ٱلصَّلَاةُ وَٱلسَّلَامُ لم يُهاجِر في المُحرَّم؛ وإنَّما قَدِمَ في ربيع.

فبناءً على هذا: يكون هناك اختلاف في شهرين أين سيدخُلان؟ سيدخُلان في حساب الواقع أو في حساب عُمر؟ هذا الذي يظهر لي -والله أعلم- سبب الخلاف.

فعلى كل حال«غزوة الأحزاب» سواء عددناها في أحداث السنة الرابعة أو الخامسة؛ ذكَرَها الله في «سورة الأحزاب»، وكلُّنا نقرأ هذه القصة، وهي واقع أليمة من جهاتٍ ثلاث:

الأول: اجتماع الكفَّار والمشركين من خارج المدينة على المسلمين حتى وصل عددهم إلى عشرة آلاف إنسان؛ بينما المسلمون لو أُعِدُّوا عدًّا وقد عدَّهم النبي عَلَيْهِ ٱلصَّلَاةُ وَٱلسَّلَامُ -وكان أول إحصاءٍ في المدينة- فبلغوا جميعًا رجالًا ونساءً بلغوا ثلاثة آلاف.

ومعلوم أنَّا إذا قلنا: بلغوا رجالًا ونساءً وأطفالًا ثلاثة آلاف، معلوم أنَّ الثُّلث هُم على أكبر الاحتمالات هُم الذي يصح أن يُقاتلوا؛ فتخيَّل معي ألف في مقابل عشرة آلاف.

أضِف إلى ذلك الطَّامَّة الكبرى وهي: المنافقون في داخل المدينة، وعلى رأسهم عبد الله بن أُبَيٍّ بن سَلول، وهؤلاء لا يقلُّ عددهم عن ثلاثمائة منافق، وقد ظَهَروا لمَّا كانت غزوة أُحُد قبل أن يصلوا إلى ساحة المعركة رجعوا، فإذا بالذين يتَّبعون عبد الله بن أُبَيٍّ بن سَلول ثلاثمائة رجُل؛ ولذلك قلنا: لا يقلُّون عن ثلاثمائة رجُل. تخيَّل معي الآن! تصوُّر المسألة هذه تقول: سبحان الله؛ كيف سيأتي النصر؟!

أضِف إلى هذا: خيانة اليهود، وعلى هذا من ناحية لو نظرنا نظرةً عسكرَّة نجد أنَّ النصر غير ممكن؛ العدو عشرة آلاف، والعدو له أعيُنٌ وجواسيس من الداخل لا يقلُّون عن ثلاثمائة، والمسلمون برُمَّتهم رجالهم لا يصلون إلى ألف، واليهود -يهود بني قُرَيْظة- كانوا قد خانوا؛ فعلى هذا يكون المسلمون مُحاصرون من جهتين:

- **من جهة دِيار بني سَلِمة**: وهو الطريق المؤدِّي إلى المدينة.
- **ومن جهة ديار بني قُرَيْظة**: وهو الطريق المؤدِّي إلى المدينة.

وحصَل الأمر كما أخبر الله في القرآن ﴿ وَبَلَغَتِ ٱلْقُلُوبُ ٱلْحَنَاجِرَ وَتَظُنُّونَ بِٱللَّهِ ٱلظُّنُونَا ﴾[سورة الأحزاب، من الآية:١٠]؛ (ألف الإطلاق)؛ هذه تُسمَّى، (أَلِف الإطلاق)؛ يعني: أوهام مختلفة.

﴿ وَبَلَغَتِ ٱلْقُلُوبُ ٱلْحَنَاجِرَ وَتَظُنُّونَ بِٱللَّهِ ٱلظُّنُونَا ۝١٠ هُنَالِكَ ٱبْتُلِيَ ٱلْمُؤْمِنُونَ وَزُلْزِلُوا۟ زِلْزَالًا شَدِيدًا ﴾ [سورة الأحزاب، من الآيتين:١٠،١١]؛ زلزال عجيب؛ هو لا يدري الآن ماذا يفعل؟

أيقِف أمام الخندق حتى لا يتجاوز الكفَّار الخندق كما فعلَه بعض فرسانهم فصدَّ لهُم علي بن أبي طالب ومَن معه من المسلمين؟

أو يُقسِّم الجيش إلى قسمين ويكونون قِسم منهم في المدينة خشية أنَّ المنافقين يفعلون ما يفعلون بالذَّراري والأولاد والنساء؟

أو يرسلوا جزءًا منهم إلى يهود بني قُرَيْظة؟

ففِعلًا الأمر وصل إلى الحد الذي ذَكَره الله جَلَّ وَعَلَا، حد لا يُوصَف ﴿ وَبَلَغَتِ ٱلْقُلُوبُ ٱلْحَنَاجِرَ وَتَظُنُّونَ بِٱللَّهِ ٱلظُّنُونَا ﴾.

في مثل هذه الأوقات يظهَر الإيمان، ويَظهَر قَطْع العلائق عن الخلائق؛ لذلك قال الله في نفس «سورة الأحزاب»: ﴿مِّنَ ٱلْمُؤْمِنِينَ رِجَالٌ صَدَقُوا۟ مَا عَٰهَدُوا۟ ٱللَّهَ عَلَيْهِ ۖ فَمِنْهُم مَّن قَضَىٰ نَحْبَهُۥ وَمِنْهُم مَّن يَنتَظِرُ ۖ وَمَا بَدَّلُوا۟ تَبْدِيلًا ﴾ [سورة الأحزاب، الآية:٢٣]؛ كيف صدَقوا ما عاهدوا الله عليه؟ لأنَّهم لمَّا سَمِعوا أنَّ الكُفَّار عشرة آلاف، وأنَّ المنافقين غدروا، وأنَّ اليهود وضَعوا أيديهم في أيدي الكُفَّار؛ ماذا قالوا؟ ﴿وَلَمَّا رَءَا ٱلْمُؤْمِنُونَ ٱلْأَحْزَابَ قَالُوا۟ هَٰذَا مَا وَعَدَنَا ٱللَّهُ وَرَسُولُهُۥ ﴾[سورة الأحزاب، من الآية:١٠]؛ عجيب! ثبات ما بعده ثبات.

كان النبي عَلَيْهِ ٱلصَّلَاةُ وَٱلسَّلَامُ قد وعدهم أنَّه سيأتي عليهم يوم لا يستطيع أحدهم أن يمشِي إلى موضِع نَبْله.

كان النبي عَلَيْهِ ٱلصَّلَاةُ وَٱلسَّلَامُ قد أخبرهم أنَّ أحدهم لا يستطيع أن يمشِي إلى صاحبه ليُصلِّي معه جماعة.

كان النبي عَلَيْهِ ٱلصَّلَاةُ وَٱلسَّلَامُ قد أخبرهم أنَّه سيأتي عليهم يوم سيُصلِّي كل واحدٍ منهم في مكانه؛ كانوا يتعجَّبون؛ كيف يكون هذا؟

كان النبي عَلَيْهِ ٱلصَّلَاةُ وَٱلسَّلَامُ قد أخبرهم أنَّ الكُفَّار يجتمعون كلُّهم عليهم، وكان هذا أمر غريب؛ لماذا غريب؟ لأنَّ الكُفَّار بينهم من المنازعات والاختلافات ما الله به عليم؛ فيستغرب بعض الناس كيف يجتمعون؟!

ولذلك وَصَفَه الله بهذا الوَصْف الدقيق ﴿وَلَمَّا رَءَا ٱلْمُؤْمِنُونَ ٱلْأَحْزَابَ قَالُوا۟ هَٰذَا مَا وَعَدَنَا ٱللَّهُ وَرَسُولُهُۥ وَصَدَقَ ٱللَّهُ وَرَسُولُهُۥ ۚ وَمَا زَادَهُمْ إِلَّآ إِيمَٰنًا وَتَسْلِيمًا﴾ [سورة الأحزاب، من الآية:٢٢]؛ فالعِزَّة والمكنة والظَّفر لا يكون بالعتاد والعُتد كما يظن بعض الناس؛ إنَّما في صحة العلاقة مع الله جَلَّ وَعَلَا.

المسلمون كما قال عُمر: إنَّكم لا تستطيعون أن تغلبوا على عدوَّكم بكثرة عُدَّةٍ وعتاد؛ وإنَّما بشيءٍ إذا استويْتُم أنتم وإيَّاهم غَلَبوكم بالعُدَّة والعتاد (وهو الذنوب)؛ فاتَّقوا الله واستغفروا وتوبوا، وأقبِلوا على عدوِّكم ينصُركم الله.

وإلَّا فالمعارك التي دارَتْ في «غزوة القادسيَّة»، في «غزوة اليرموك» شيء فوق الخيال، ما يمكن؛ يعني: لولا أنَّ كُتب التاريخ عندنا موثوقة العقل ما يقبل، كيف عدد من الجُند لا يصلون إلى ثلاثين ألف والمقابل ثلاثمائة ألف، في «غزوة مؤتة» المسلمون ثلاثة آلاف -مثلًا-، والكفَّار ثلاثون ألف؛ يعني: شيء ما يُعقَل!

لكن إذا صَدَقوا الله جَلَّ وَعَلَا يرَوْن الخيل البُلق بإذن الله سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى، يرَوْن النصر من الله، هذا وَعْدُ الله؛ وَعْد الله سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى أنَّه يُمدُّ المؤمنين كيف شاء.

هذه المعركة -أيُّها الإخوة- ينبغي أن تُدرَس من نواحي عظيمة؛ كيف أنَّ المنافقين ماذا سيقولون في مثل هذه الظروف الصعبة؟ ﴿يَقُولُونَ إِنَّ بُيُوتَنَا عَوْرَةٌ ۛ وَمَا هِىَ بِعَوْرَةٍ ۛ إِن يُرِيدُونَ إِلَّا فِرَارًا ﴿١٣﴾ وَلَوْ دُخِلَتْ عَلَيْهِم مِّنْ أَقْطَارِهَا ثُمَّ سُئِلُوا۟ ٱلْفِتْنَةَ لَـَٔاتَوْهَا وَمَا تَلَبَّثُوا۟ بِهَآ إِلَّا يَسِيرًا ﴿١٤﴾ وَلَقَدْ كَانُوا۟ عَٰهَدُوا۟ ٱللَّهَ مِن قَبْلُ لَا يُوَلُّونَ ٱلْأَدْبَٰرَ ۚ وَكَانَ عَهْدُ ٱللَّهِ مَسْـُٔولًا﴾ [سورة الأحزاب، من الآيتين:١٣،١٤].

قال: (**وَبَعْدَهَا الْأَحْزَابُ فَاسْمَعْ وَاعْدُدِ**)؛ مع هذا نَصَرَ الله المسلمين ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ ٱذْكُرُوا۟ نِعْمَةَ ٱللَّهِ عَلَيْكُمْ﴾ [سورة الأحزاب، من الآية:٩]؛ كيف صار في الأحزاب؟ تأمَّل الآية! ﴿إِذْ جَآءَتْكُمْ جُنُودٌ فَأَرْسَلْنَا عَلَيْهِمْ رِيحًا وَجُنُودًا لَّمْ تَرَوْهَا ۚ وَكَانَ ٱللَّهُ بِمَا تَعْمَلُونَ بَصِيرًا ﴿٩﴾ إِذْ جَآءُوكُم مِّن فَوْقِكُمْ﴾ [سورة الأحزاب، من

الآيتين:٩،١٠]؛ يقصِد العرب قُريش ومَن معها، ﴿وَمِنْ أَسْفَلَ مِنكُمْ﴾ [سورة الأحزاب، من الآية:١٠]؛ يعني: بني قُرَيْظة والمنافقون، عالية المدينة، سافلة المدينة.

﴿اذْكُرُوا نِعْمَةَ اللَّهِ عَلَيْكُمْ إِذْ جَاءَتْكُمْ جُنُودٌ فَأَرْسَلْنَا عَلَيْهِمْ رِيحًا وَجُنُودًا لَمْ تَرَوْهَا وَكَانَ اللَّهُ بِمَا تَعْمَلُونَ بَصِيرًا ﴿٩﴾ إِذْ جَاءُوكُمْ مِنْ فَوْقِكُمْ وَمِنْ أَسْفَلَ مِنْكُمْ وَإِذْ زَاغَتِ الْأَبْصَارُ وَبَلَغَتِ الْقُلُوبُ الْحَنَاجِرَ﴾ [سورة الأحزاب، من الآيتين:٩،١٠]؛ ماذا فعَلَ الله عَزَّوَجَلَّ؟ أرسَلَ الله عليهم رِيحًا شتَّت خِيَمهم، أطارَتْ رِماحهم حتى كادَتْ أن تنطِير عقولهم، في بعض الروايات: أنَّها عاصفة، إحنا نُسمِّيها اليوم بـ «الزوابع»، جاءَتْ ما تعدَّتْ ساحة المُشركِين. سُبحان الله العظيم! يعني: المسلمون ينظرون إليهم وهُم في سلامة وفي أمنٍ ودَعَة؛ وهُم في عاصفةٍ وقاصِفةٍ لا يكاد أحدهم يستطيع أن يثبُت.

وكأنَّ أبا سُفيان فَهِمَ أنَّ المكان هذا غير آمن؛ مباشرةً نادَى بالناس: أنِّي راحلٌ راجعٌ. جلسوا أيام حتى قِيل: شهر. وقِيل أقل من ذلك؛ لكن ما وجدوا شيئًا، ردَّهم الله ﴿وَرَدَّ اللَّهُ الَّذِينَ كَفَرُوا بِغَيْظِهِمْ لَمْ يَنَالُوا خَيْرًا وَكَفَى اللَّهُ الْمُؤْمِنِينَ الْقِتَالَ وَكَانَ اللَّهُ قَوِيًّا عَزِيزًا ﴿٢٥﴾ وَأَنْزَلَ الَّذِينَ ظَاهَرُوهُمْ مِنْ أَهْلِ الْكِتَابِ مِنْ صَيَاصِيهِمْ﴾ [سورة الأحزاب، من الآيتين:٢٥،٢٦]؛ من قصورهم؛ هؤلاء هُم اليهود.

لذلك قال:

ثُمَّ بَنُو قُرَيْظَةٍ وَفِيهِمَا خُلْفٌ وَفِي ذَاتِ الرِّقَاعِ عُلِّمَا

(**خُلْفٌ**)؛ يعني: اختلاف؛ هل «الأحزاب، وبنو قُرَيْظة» في السنة الرابعة أو الخامسة؟ المُصنِّف رجَّح أنَّهما في الرابعة، والجمهور: أنَّهما في الخامسة؛ ولذلك قال: (**خُلْفٌ**)؛ يعني: اختلاف.

لمَّا رجَعَ المُشركون رَجَع النبي عَلَيْهِ الصَّلَاةُ وَالسَّلَامُ ومَن معه من عند الخندق الذي كانوا حفروه بإشارة من سَلمان الفارسي، ووصلوا المدينة فأرادوا أن يرتاحوا وإذا بجبريل عَلَيْهِ السَّلَامُ ينزل ويقول ويأمُر النبي عَلَيْهِ الصَّلَاةُ وَالسَّلَامُ بأمر الله أن يسير إلى بني قُرَيْظة مباشرةً؛ فكانت هذه الغزوة متَّصلة بغزوة الأحزاب.

فأمَرَ النبي عَلَيْهِ الصَّلَاةُ وَالسَّلَامُ -كما في الصحيح- الصحابة وقال: «**لَا يُصَلِّيَنَّ أَحَدُكُمْ الْعَصْرَ إِلَّا بِبَنِي قُرَيْظَةَ**»، وكان منصَرف المشركِين ضُحًى.

فمن الصحابة مَن أدركه وقت الصلاة فصلَّى بالطريق ثم أسرع وفَهِمَ أنَّ مراد النبي عَلَيْهِ ٱلصَّلَاةُ وَٱلسَّلَامُ العَجَل.

ومنهم مَن لم يُصلِّ العصر حتى وَصَل إلى قصور وحصون بني قُرَيْظة ثم صلَّى المغرب وهو مُحاصِرٌ لبني قُرَيْظة.

وهؤلاء قاموا بأعظم الخيانة، والقاعدة الحربيَّة المُتَّفق عليها بين العقلاء إلى يومنا هذا: «أنَّ الخائن في الحرب ليس له جزاءٌ إلَّا القَتْل»؛ في جميع عساكِر وفي جميع الدَّساتِر هذا القانون موجود إلى اليوم «أنَّ الخائن الغادر للوطن يُقتَل»؛ هؤلاء غَدَروا موطنهم، وغَدَروا عهودهم مع النبي عَلَيْهِ ٱلصَّلَاةُ وَٱلسَّلَامُ؛ لأنَّ كان من الوثيقة (وثيقة المدينة) وهي أول وثيقةٍ للتعايُش بين المسلمين وغيرهم كان في منصوصها: أنَّ اليهود (يهود بني قُرَيْظة، يهود بني قَيْنُقاع، بني النَّضِير، يهود بني عَوْف، ابن الحارث)، والمُشركين والمسلمين يدٌ على مَن سِواهم. هذا منصوص.

فلمَّا حصَلَ منهم ذلك حاصرهم النبي عَلَيْهِ ٱلصَّلَاةُ وَٱلسَّلَامُ، فلمَّا حاصرهم فَهِموا أنَّ القتال لا يُمكن أن ينتصروا به، لا سيَّما وقد خَذَلهم أحلافهم من الكفَّار الذين جاءوا من مكة بإيعازٍ منهم، وخَذَلهم المنافقون الذين قالوا: إنَّا معكم. وقالوا: ننزل على حُكم حلِيفنا سعد بن مُعاذ.

وكان سعد بن مُعاذ قد أُصِيب في يوم الأحزاب بسهمٍ في كاحله فكان يدعُو الله عَزَّوَجَلَّ أن يبقَى حتى يرى حُكم الله في بني قُرَيْظة، فجيء به محمولًا -كما تعلمون- فقال النبي عَلَيْهِ ٱلصَّلَاةُ وَٱلسَّلَامُ للصحابة: «**قُومُوا إِلَى سَيِّدِكُمْ فَأَنْزِلُوهُ**»، وكان جريحًا؛ فقاموا إليه وأنزلوه، فلمَّا أنزلوه أمَرَه النبي عَلَيْهِ ٱلصَّلَاةُ وَٱلسَّلَامُ أن يحكُم فيهم، قال: «**هُمْ رَضُوكَ حَكَمًا، وَإِنِّي أَرْضَاكَ حَكَمًا**».

والتحكيم أمرٌ شرعيٌّ جائز؛ لكن بشرط أن يعلم أنَّ المُتحاكِم إليه لا يحكُم إلَّا بشرع الله.

فقال سعدٌ: يا رسول الله، إنِّي أرى أن تُقتَل مُقاتلتُهم، وأن تُسبَى ذرارِيهم. فكان الأمر كذلك؛ فقُتِلَ من بني قُرَيْظة حوالي ثلاثمائة شخص قُتِلوا كُل مَن أنبت، ومَن لم يُنبِت أصبح سبايا وعبيد للمسلمين، وأسلم منهم مَن أسلم، وكان من السبايا الصحابة والتابعِين الذين كانوا في ذاك الزمان.

وأنتم تقرأون في كُتُب التفسير عن محمد بن كعبٍ القُرَظِي؛ أبوه كعب كان من الذين لم يُنبتوا بعد فأسلم، ومحمد بن كعب القُرَظِي من كِبار الرُّواة في المغازي والسِّيَر وفي التفسير.

قال: (**وَفِي ذَاتِ الرِّقَاعِ عُلِّمَا**)؛ أيضًا في «غزوة ذات الرِّقاع» هل هو في السنة الرابعة أو الخامسة؟ أيضًا كان فيه اختلاف.

وسُمِّيَتْ هذه الغزوة بـ«ذات الرِّقاع» لأنَّ الصحابة -رِضْوَانُ اللهِ عَلَيْهِمْ- كانوا قد ساروا كثيرًا حتى تقطَّعَتْ نِعالهم؛ فاضطرُّوا أن يربطوا على أقدامهم الرِّقاع من الجلود ومن الأقمشة التي معهم من أُذُرِهم وأردِيتهم.

ثم قال:

كَيْفَ صَلَاةُ الْخَوْفِ وَالْقَصْرُ نُمِي وَآيَةُ الْحِجَابِ وَالتَّيَمُّمِ

أي: في هذه السنة أيضًا شَرَعَ الله صلاة الخوف، وصلاة الخوف إنَّما شُرِعَ في «غزوة ذات الرِّقاع» على ما ذكَرَه عبد الله بن عُمر رَضِيَ اللهُ تَعَالَى عَنْهُمَا.

لكن هذا لا يعني أنَّ النبي عَلَيْهِ ٱلصَّلَاةُ وَٱلسَّلَامُ لم يُصلِّ صلاة الخوف إلَّا في «ذات الرِّقاع»؛ فإنَّ غزواتٍ أخرى صلَّى فيها النبي عَلَيْهِ ٱلصَّلَاةُ وَٱلسَّلَامُ صلاة الخوف؛ ولهذا ورَدَ عن النبي عَلَيْهِ ٱلصَّلَاةُ وَٱلسَّلَامُ ستة أوصافٍ لصلاة الخوف.

طبعًا صلاة الخوف -كما تعلمون- إن كان يمكن جماعةً فالمُحاربون ينقسمون إلى قسمين: قسمٌ يُصلِّي مع الإمام، ثم ينصرفون، ثم يأتي القِسم الثاني ويُصلُّون جماعةً أخرى.

وإن كان صلا الخوف في حال المُسايَفة: فحينئذٍ يُصلِّي كيف قَدِر -راكبًا، ماشيًا-، ويركع إيماءً، ويسجُد إيماءً وهو يُقاتِل.

قال: (**وَالْقَصْرُ نُمِي**)؛ هل صلاة القصر شُرِعَ مع صلاة الخوف؟ هذا ما عليه عامة المُفسِّرين، وعامة المُحدِّثين، وعامة المؤرِّخين؛ وإن كان في الفقه خلاف لكن الصواب: ما عليه عامة المُفسِّرين والمُحدِّثين: أنَّ صلاة الخوف والقصر شُرِعَا معًا. والآية واضحة في ذلك في قوله سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ: ﴿وَإِذَا ضَرَبْتُمْ فِي ٱلْأَرْضِ فَلَيْسَ عَلَيْكُمْ جُنَاحٌ أَن تَقْصُرُوا۟ مِنَ ٱلصَّلَوٰةِ إِنْ خِفْتُمْ﴾ [سورة النساء، من الآية:١٠١]؛ فالأصل في صلاة القصر أنَّها شُرِعَتْ للخوف، ثم بَقِيَ مع الأمن كما قال عُمر: سألتُ النبي عَلَيْهِ ٱلصَّلَاةُ وَٱلسَّلَامُ لِمَ نقصُر الصلاة وقد أمِنَّا؟ قال: «**صَدَقَةٌ تَصَدَّقَ اللهُ بِهَا عَلَيْكُمْ؛ فَاقْبَلُوا صَدَقَتَهُ**».

إذًا. صلاة الخوف والقصر -على رأي المُصنِّف- كان في السنة الرابعة في «غزوة ذات الرِّقاع»، وعلى قول الآخرين: كانت هذه الغزوة في السنة الخامسة.

قال: (**وَآيَةُ الْحِجَابِ وَالتَّيَمُّمِ**)؛ بالاتِّفاق أنَّ صلاة الخوف، وصلاة القصر، آية الحجاب، آية التيمُّم؛ بالاتِّفاق كان بعد «الأحزاب». المهم أن تعرف هذا!

لكن هل هي في السنة الرابعة أو الخامسة؟ هذا فيه اختلاف.

(**وَآيَةُ الْحِجَابِ**)؛ تعلمون أنَّه في أول الأمر ما كان الله عَزَّوَجَلَّ فرَضَ الحجاب على المسلمات؛ وإنَّما كان من عادة العرب أنَّهُنَّ يتخمَّرْنَ، وأنَّهُنَّ يمشِين ساترات على عادة العرب، بل وعلى عادة عامة الخَلْق وقتها، هذا السَّفور وهذا التبرُّج الجاهلي في هذا العصر ما له مثيلٌ أبدًا إلَّا الجاهليَّة الأُولَى؛ في الجاهليَّة الأُولَى كانت المرأة -آحاد ما هو مجموعة نساء- البغيَّة تلبس لبسًا فاضحًا ثم تخرُج وتمُرُّ على مَجْمَع الرِّجال؛ هذا معنى الجاهليَّة الأُولَى.

وقال بعض المُفسِّرين: الجاهليَّة الأُولَى هي المرأة التي تتعطَّر وتتجمَّل، ثم تُسفِر عن مفاتنها، ثم تخرج بجلاجلها، وتمُرُّ على الرجال وتُخاطبهم بخطابٍ فيه غزلٌ وفيه... وفيه. فسُمِّيَتْ بـ«الجاهليَّة الأُولَى».

وأمَّا «الجاهليَّة الثانية» كما قال بعض المُفسِّرين: أمَّا الجاهليَّة الأُولَى فقد كانت، وأمَّا الجاهليَّة الثانية فإنَّها ستأتي؛ فوالله إن لم يكن هذا السُّفور وهذا التبرُّج الموجود في العالَم اليوم هي الجاهليَّة الأُولَى فلا أدري ما هي الجاهليَّة الثانية؟ إذا لم تكن هذه هي الجاهليَّة الثانية فل أدري ما معنى الجاهليَّة الثانية؟

فـ(**آيَةُ الْحِجَابِ**)؛ إنَّما جاء حِشمةً للمؤمنات كما قال جَلَّوَعَلَا: ﴿ذَٰلِكَ أَدْنَىٰٓ أَن يُعْرَفْنَ فَلَا يُؤْذَيْنَ﴾[سورة الأحزاب، من الآية:٥٩]؛ وقد جاء ذِكر آيات الحجاب في «سورة الأحزاب» وفي غيرها من السُّور.

(**وَالتَّيَمُّمِ**)؛ كذلك بعد «غزوة ذات الرِّقاع» حصل التيمُّم كما في حديث سعد بن عُبادة في الصحيح.

والتيمُّم من التخفيف على هذه الأُمَّة، خفَّف الله الصلاة، وخفَّف الله الوضوء.

قِيلَ: وَرَجْمُهُ الْيَهُودِيَّيْنِ وَمَوْلِدُ السِّبْطِ الرِّضَا الْحُسَيْنِ

يبقَى هنا إشكال كيف كان رَجْمه اليهوديَّيْن وقد أجلَى النبي عَلَيْهِ ٱلصَّلَاةُ وَٱلسَّلَامُ اليهود من المدينة؟ ما بَقِيَ يهوديٌّ؛ فقد خرجَ يهود بني قُرَيْظة، يهود بني النَّضِير، يهود بني قَيْنُقاع؛ فكيف رَجَمَ اليهوديَّيْن؟

الصواب -والله أعلم-: أنَّ هذا يحتمل أحد احتمالين:

♦ **الأول**: أنَّ رَجْمه اليهوديَّيْن كان قبل الأحزاب. وهذا أقرب.

♦ **والثاني**: أنَّ رَجْمه اليهوديَّيْن إنَّما كان في يهود بني حارثة بن عوف الذين كانوا في المدينة، ولم يُجلِهِم النبي عَلَيْهِ ٱلصَّلَاةُ وَٱلسَّلَامُ لأنَّ أكثرهم قد أسلموا، وما بَقِيَ منهم إلَّا ما كانوا قِلَّة فأبقاهُم النبي عَلَيْهِ ٱلصَّلَاةُ وَٱلسَّلَامُ، وقصة اليهوديَّيْن جاء في [**صحيح البُخاري**].

وقوله: (**وَمَوْلِدُ السِّبْطِ الرِّضَا الْحُسَيْنِ**)؛ هذا أيضًا على القول الذي اختاره المُصنِّف: أنَّ مولد السِّبْط الحُسين كان بعد سنةٍ تامةٍ من ميلاد الحسن؛ فالحُسين والحسن بينهما سنةٌ واحدة.

وكان الحُسين يُجلُّ الحسن إجلالًا كأنَّه أبوه مع أنَّ بينهما سنة واحدة، وهذا يدلُّ على عظمة التوقير للكبير.

والحسن والحُسين الصواب -وإن لم يثبُت فيه الحديث؛ لكن هذا هو الصواب- أنَّ الذي سمَّاهُما هو النبي عَلَيْهِ ٱلصَّلَاةُ وَٱلسَّلَامُ.

أنا أكتفِي بهذا القَدْر.

وصلَّى الله وسلَّم على نبيِّنا محمد وعلى آله وصحبه أجمعين.

سلسلة شروح فضيلة الشيخ

شرح

الأرجوزة الميئية

في ذكر حال أشرف البرية

للعلامة ابن أبي العز الحنفي

المتوفى سنة ٧٩٢ هـ

لفضيلة الشيخ الدكتور

محمد هشام طاهري

حفظه الله ورعاه

خدمة دروس الشيخ

ملاحظة: الشيخ لم يراجع التفريغ

رابط الدرس مرئي

https://www.youtube.com/watch?v=٧HYqS٢EKSeA&list=PLcHCzΛWLFx-qGquTCYziQxJnPGsO١EyVl&index=٤

(المجلس الرَّابع)

الحمد لله رب العالمِين، وصلَّى الله وسلَّم وبارَك وأنعَم على نبيِّنا محمد وعلى آله وصحبه أجمعين. وبعد...

فنحمد الله تَبَارَكَ وَتَعَالَى على تيسيره لهذا اللقاء المبارَك لنتذاكَر وإيَّاكم في [**الأُرْجُوزَةِ الْمِيئِيَّةِ**] للعلَّامة ابن أبي العِز الحنفِي رَحِمَهُ ٱللَّهُ تعالى، معكم في هذا المكان المبارك مع شباب صباح الأحمد في دولة الكويت حَرَسَهَا الله تَبَارَكَ وَتَعَالَى وأدام أمنها وإيمانها وأُلفتها ومحبَّتها وجَمْعتها.

كُنَّا قد وقفنا على البيت الثامن والستين؛ فنبدأ على بركة الله تعالى، ونسأله جَلَّ وَعَلَا أن يرزُقنا وإيَّاكم العلم النافع والعمل الصالح.

المتن:

بسم الله، والصلاة والسلام على رسول الله.

اللهُمَّ اغفِر لنا ولشيخنا وللحاضرِين والسَّامعِين.

قال المُؤلِّف رَحِمَهُ ٱللَّهُ:

وَكَانَ فِي الْخَامِسَةِ اسْمَعْ وَثِقِ ... اَلْإِفْكُ فِي غَزْوِ بَنِي الْمُصْطَلِقِ

وَدُومَةُ الْجَنْدَلِ قَبْلُ وَحَصَلْ ... عَقْدُ ابْنَةِ الْحَارِثِ بَعْدُ وَاتَّصَلْ

وَعَقْدُ رَيْحَانَةَ فِي ذِي الْخَامِسَةْ ... ثُمَّ بَنُو لِحْيَانَ بَدْءُ السَّادِسَةْ

وَبَعْدَه اسْتِسْقَاؤُهُ وَذُو قَرَدْ ... وَصُدَّ عَنْ عُمْرتِهِ لَمَّا قَصَدْ

وَبَيْعَةُ الرِّضْوَانِ بَعْدُ وَبَنَى ... فِيهَا بِرَيْحَانَةَ هَذَا بَيِّنَا

وَفُرِضَ الْحَجُّ بِخُلْفٍ فَاسْمَعَهْ ... وَكَانَ فَتْحُ خَيْبَرٍ فِي السَّابِعَةْ

وَحَظْرُ لَحْمِ الْحُمُرِ الْأَهْلِيَّةْ ... فِيهَا وَمُتْعَةِ النِّسَا الرَّدِيَّةْ

وَسُمَّ فِي شَاةٍ بِهَا هَدِيَّةْ ... ثُمَّ اصْطَفَى صَفِيَّةً صَفِيَّةْ

ثُمَّ عَلَى أُمِّ حَبِيبَةَ عَقَدْ ... وَمَهْرَهَا عَنْهُ النَّجَاشِيُّ نَقَدْ

ثُمَّ أَتَتْ وَمَنْ بَقِي مُهَاجِرَا ... وَعَقْدُ مَيْمُونَةَ كَانَ الآخِرَا

وَقَبْلُ إِسْلَامُ أَبِي هُرَيْرَةْ ... وَبَعْدُ عُمْرةُ الْقَضَا الشَّهِيرَةْ

وَالرُّسْلَ فِي الْمُحَرَّمِ الْمُحَرَّمِ ... أَرْسَلَهُمْ إِلَى الْمُلُوكِ فَاعْلَمِ

وَأُهْدِيَتْ مَارِيَةُ الْقِبْطِيَّةْ ... فِيهِ وَفِي الثَّامِنَةِ السَّرِيَّةْ

لِمُؤْتَةٍ سَارَتْ وَفِي الصِّيَامِ ... قَدْ كَانَ فَتْحُ الْبَلَدِ الْحَرَامِ

وَبَعْدَهُ قَدْ أَوْرَدُوا مَا كَانَ فِي ... يَوْمِ حُنَيْنٍ ثُمَّ يَوْمِ الطَّائِفِ

وَبَعْدُ فِي ذِي الْقَعْدَةِ اعْتِمَارُهْ ... مِنَ الْجِعِرَّانَةِ وَاسْتِقْرَارُهْ

وَبِنْتُهُ زَيْنَبُ مَاتَتْ ثُمَّا ... مَوْلِدُ إِبْرَاهِيمَ فِيهَا حَتْمَا

وَوَهَبَتْ نَوْبَتَهَا لِعَائِشَةْ ... سَوْدَةُ مَا دَامَتْ زَمَانًا عَائِشَةْ

وَعُمِلَ الْمِنْبَرُ غَيْرَ مُخْتَفِ ... وَحَجَّ عَتَّابٌ بِأَهْلِ الْمَوْقِفِ

ثُمَّ تَبُوكَ قَدْ غَزَا فِي التَّاسِعَةْ ... وَهَدَّ مَسْجِدَ الضِّرَارِ رَافِعَهْ

وَحَجَّ بِالنَّاسِ أَبُو بَكْرٍ وَثَمْ ... تَلا بَرَاءَةً عَلِيٌّ وَحَتَمْ

أَنْ لَا يَحُجَّ مُشْرِكٌ بَعْدُ وَلَا ... يَطُوفُ عَارٍ ذَا بِأَمْرٍ فُعِلَا

وَجَاءَتِ الْوُفُودُ فِيهَا تَتْرَى ... هَذَا وَمِنْ نَسَاهُ آلَى شَهْرَا

ثُمَّ النَّجَاشِيَّ نَعَى وَصَلَّى ... عَلَيْهِ مِنْ طَيْبَةَ نَالَ الْفَضْلَا

وَمَاتَ إِبْرَاهِيمُ فِي الْعَامِ الأَخِيرْ ... وَالْبَجَلِيْ أَسْلَمَ وَاسْمُهُ جَرِيرْ

وَحَجَّ حِجَّةَ الْوَدَاعِ قَارِنَا ... وَوَقَفَ الْجُمْعَةَ فِيهَا آمِنَا

وَأُنْزِلَتْ فِي الْيَوْمِ بُشْرَى لَهُمُ ... ﴿ٱلْيَوْمَ أَكْمَلْتُ لَكُمْ دِينَكُمْ﴾

وَمَوْتُ رَيْحَانَةَ بَعْدَ عَوْدِهْ ... وَالتِّسْعُ عِشْنَ مُدَّةً مِنْ بَعْدِهْ

وَيَوْمَ الاِثْنَيْنِ قَضَى يَقِينَا ... إِذْ أَكْمَلَ الثَّلَاثَ وَالسِّتِّينَا

وَالدَّفْنُ فِي بَيْتِ ابْنَةِ الصِّدِّيقِ ... فِي مَوْضِعِ الْوَفَاةِ عَنْ تَحْقِيقِ

وَمُدَّةُ التَّمْرِيضِ خُمْسَا شَهْرِ ... وَقِيلَ بَلْ ثُلْثٌ وَخُمْسٌ فَادْرِ

وَتَمَّتِ الْأُرْجُوزَةُ الْمِيئِيَّةْ ... فِي ذِكْرِ حَالِ أَشْرَفِ الْبَرِيَّةْ

صَلَّى عَلَيْهِ اللهُ رَبِّي وَعَلَى ... أَصْحَابِهِ وآلِهِ وَمَنْ تَلَا

الشرح:

قوله في البيت الثامن والستين رَحِمَهُ ٱللَّهُ تعالى: (**وَكَانَ فِي الْخَامِسَةِ**)؛ أي: في السنة الخامسة من الهجرة، وهذه الأحداث إنَّما يذكُر أهمَّها ويترُك بعضها.

(**اسْمَعْ**)؛ أي: ما حصَل في هذه السنة.

(**وَثِقِ**)؛ أصلُها (وَثِقْ) من (وَثَقَ، يَثِقُ، ثِقْ)؛ أي: ثِق بالأمر وتيقَّن هذه الأحداث.

(**اَلْإِفْكُ فِي غَزْوِ بَنِي الْمُصْطَلِقِ**)؛ «غزوة بني المُصطلِق» من الغزوات التي كانت في السنة الخامسة من الهجرة؛ هل كانت قبل «دَوْمة الجندل» أو بعد «دَوْمة الجندل»؟

هناك خلاف بين أهل العلم، والأرجَح: أنَّ «دَوْمة الجندل» قبل «غزوة بني المُصطلِق»؛ لكن المُصنِّف رجَّح بسبب ذِكْره وتقديمه لـ (**غَزْوِ بَنِي الْمُصْطَلِقِ**)؛ أنَّها كانت قبل «دَوْمة الجندل».

و «غزوة بني المُصطلِق» كانت من ناحية الجنوب الشرقي للمدينة لبني المُصطلِق، وكان الناس هناك اجتمعوا تحت رايةٍ، وكانوا يريدون الغارة على المدينة؛ فعَلِمَ النبي عَلَيْهِ ٱلصَّلَاةُ وَٱلسَّلَامُ وكان قد بعَثَ العيون وتأكَّد من الخبر، فأمَرَ أصحابه بالمسير إلى هذه الغزوة.

وسار بسبعمائةٍ ونيِّف رجُل من المدينة إلى ديار بني المصطلِق، ومَن جاء إليهم من الأعراب ومن نُزَّاع القبائل، ففاجأهم النبي عَلَيْهِ ٱلصَّلَاةُ وَٱلسَّلَامُ على ماءٍ لهُم فقتَلَ مَن قتَلَ، وأسَرَ مَن أسَرَ.

وقِيل: إنَّه وصَلَ إلى الماء ولم يجدهم ووجدهم قد تفرَّقوا وكانونا أعرابًا، وتشتَّتوا؛ فلم يحصُل قِتال، ثم رجع النبي عَلَيْهِ ٱلصَّلَاةُ وَٱلسَّلَامُ وكان في هذه الغزوة معه من نسائه عائشة الصِّدِّيقة وأم سَلَمَة رَضِيَ اللهُ تَعَالَى عَنْهُمَا.

وفي هذه الغزوة في القفول حصَلَ أنَّ عائشة رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهَا فقدَتْ عِقدها فذهبَتْ إلى المكان التي قضَتْ حاجتها تبحث عن عِقدها، فلمَّا رجعَتْ ما وجدَتْ أحدًا، وظنُّوا كما في [**البُخاري**]- أنَّها في الهودج.

وقصَّة الإفك معروفة مذكورة في [**صحيح البُخاري، ومسلم**] من حديثها رَضِيَ اللهُ تَعَالَى عَنْهَا.

وهي من أعظم الحوادث التي مرَّتْ بالنبي عَلَيْهِ ٱلصَّلَاةُ وَٱلسَّلَامُ حيث اتُّهِمَ في عِرضه من قِبَل المنافقين، وكان رأس النِّفاق عبد الله بن أُبَي بن سَلول هو الذي تولَّى كِبر هذه الحادثة، وكان في هذه الغزوة مع المسلمين.

ويُستفاد من هذا: أنَّ المنافقين إذا ذهبوا مع المسلمين القتال لا يُمنعون، وهكذا أهل البِدَع إذا قاتلوا تحت لواء المسلمين لا يُمنعون من قِتال الكُفَّار؛ لكن ينبغي الحذر منهم، ومن فِعالهم وأعمالهم لأنَّ الله جَلَّوَعَلَا يقول: ﴿لَوْ خَرَجُوا۟ فِيكُم مَّا زَادُوكُمْ إِلَّا خَبَالًا وَلَأَوْضَعُوا۟ خِلَٰلَكُمْ يَبْغُونَكُمُ ٱلْفِتْنَةَ﴾ [سورة التوبة، من الآية:٤٧]؛ هذه أوصافهم.

فاستغلُّوا هذه الحادثة ونشَروا قصة اتِّهام أُم المؤمنين عائشة -رَضِيَ اللهُ تَعَالَى عَنْهَا- برجلٍ بدريٍّ معروفٍ، حتى قال النبي عَلَيْهِ ٱلصَّلَاةُ وَٱلسَّلَامُ: «**إِنَّهُمْ اِتَّهَمُونِي فِي عِرْضِي بِرَجُلٍ أَعْرِفُهُ لَمْ يَدخُلْ عَلَى أَهْلِي إِلَّا مَعِي**»، وتلقَّف هذه الحادثة بعض المسلمين.

والله جَلَّوَعَلَا أنزل آيات براءتها في «سورة النُّور»؛ فهي نورٌ وضِياء لا يمكن أن يخطُر ببالها مثل هذه الأمور؛ لأنَّ الله جَلَّوَعَلَا أخبر قال: ﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ يَرْمُونَ ٱلْمُحْصَنَٰتِ ٱلْغَٰفِلَٰتِ﴾ [سورة النور، من الآية:٢٣]؛ «غافِلات» يعني: عن فِعل الفاحشة لا يخطُر ببالهِنَّ؛ فبرَّأها الله عَزَّوَجَلَّ بآياتٍ تُتلَى إلى يوم القيامة.

وكانت عائشة في هذه الغزوة عُمرها قُرابة على قول بعض العلماء: كانت في الثانية عشر من عُمرها؛ لكنَّ عقلها رجِيح.

ثم قال: (**وَدُومَةُ الْجَنْدَلِ قَبْلُ**)؛ وهذا هو الراجح كما ذكرتُ.

(**وَدُومَةُ الْجَنْدَلِ**) أو (**دَوْمَةُ الْجَنْدَلِ**) بالضم وبالفتح: اسم منطقةٍ موجودة إلى اليوم بهذا الاسم في شمال الشرقي للجزيرة العربية، قريبة من سِكاكا، واجتمعَتْ هناك جماعةٌ من قبائل أو من نُزَّاع القبائل يتزَّعمهم قُضاعة، وأرادوا أن يقطعوا على الناس القوافل السائرة إلى بلاد الشام من جهة، والقوافل السائرة إلى بلاد الجزيرة الفراتيَّة؛ لأنَّهم في منتصف هذا المكان.

والنبي عَلَيْهِ ٱلصَّلَاةُ وَٱلسَّلَامُ لا يمكن أن يترُك مثل هؤلاء يتحكَّمون في مصير المسلمين، وفي قوافل المسلمين؛ فذهب في هذه الغزوة إلى قِتالهم، وقِيل: حصل قِتال. وقِيل: لم يحصُل قِتال؛ لكنَّهم تنازعوا.

وعلى كل حال... فهذه الحادثة أيضًا حصلَتْ في السنة الخامسة.

والمتأمِّل أنَّ قريش لمَّا تسمع أنَّ النبي عَلَيْهِ ٱلصَّلَاةُ وَٱلسَّلَامُ وأصحابه مشوا ستمائة كيلو لقتال قُضاعة في دَوْمة الجندل ماذا سيقولون؟ ما هو الرُّعب الذي سيُلقَى في قلوبهم؟

هي حِنكة عسكرية عظيمة؛ فخافوا أيَّما خوف؛ كيف تركوا المدينة وحولها من القبائل والنُّزَّاع مَن كل قبيلةٍ منها تتطلَّع إلى غزو المدينة، وذهبوا مسافة ستمائة كيلو إلى دومة الجندل، فصارَتْ هذه الغزوة في مصلحة المسلمين حيث أُلقِيَ الرُّعب في قلوب القبائل عمومًا، وفي قلب قريشٍ خصوصًا.

قال: (**وَحَصَلْ عَقْدُ ابْنَةِ الْحَارِثِ بَعْدُ**)؛ والمقصود بـ (**ابْنَةِ الْحَارِثِ**)؛ يعني: التي كانت من سبايا بني المصطلق، النبي عَلَيْهِ ٱلصَّلَاةُ وَٱلسَّلَامُ سَبَى النساء الذين وجدهم في ماء بني المصطلق، وقتَلَ مَن وجدهم من المقاتِلة، وكان من السبايا في هذه الغزوة هي زينب بنت الحارث المصطلقيَّة أو الهلالية، فسباها النبي عَلَيْهِ ٱلصَّلَاةُ وَٱلسَّلَامُ والصحابة؛ فكاتَبَتْ نفسها وهي سيدة ابنة الحارث، سيدة من سادات قومها؛ كاتبَتْ نفسها فجاءَتْ إلى النبي عَلَيْهِ ٱلصَّلَاةُ وَٱلسَّلَامُ تطلُب الإعانة على مكاتبتها.

فالنبي عَلَيْهِ ٱلصَّلَاةُ وَٱلسَّلَامُ قال: «**أَلَا أَدُلُّكِ عَلَى مَا هُوَ خَيْرٌ لَكِ مِنْ ذَاكَ؟**» قالت: وما ذا؟ قال: «**أَسُدُّ عَنْكِ مُكَاتَبَتُكِ وَأَتَزَوَّجُكِ**»؛ فوافقَتْ، فكانت عظيمة المِنَّة على قومها.

فلمَّا سَمِعَ الصحابة أنَّ النبي عَلَيْهِ ٱلصَّلَاةُ وَٱلسَّلَامُ تزوَّجها ما الذي حصل؟ الذي حصل أنَّهم أطلقوا السبايا اللي عندهم وقالوا: أصهار النبي عَلَيْهِ ٱلصَّلَاةُ وَٱلسَّلَامُ لا يكونون أُسارَى عندنا. فكانت من أمَنِّ النساء على أهلها.

قال: (**عَقْدُ ابْنَةِ الْحَارِثِ**)؛ يعني: كان في السنة الخامسة بعد غزو بني المصطلق.

وهل كان بعد الغزوة مباشرة أو لمَّا جاء إلى المدينة؟ الأشهَر أنَّ ذلك إنَّما كان لمَّا وصَلوا إلى المدينة.

قال: (**وَعَقْدُ رَيْحَانَةَ فِي ذِي الْخَامِسَةْ**)؛ أيضًا رَيْحانة بنت زيد القُرظيَّة -لأنَّ «غزوة بني قُرَيْظة» أيضًا كانت في السنة الخامسة- قِيل: إنَّ النبي عَلَيْهِ ٱلصَّلَاةُ وَٱلسَّلَامُ تزوَّجها. وعلى هذا تكون معدودة في أمَّهات المؤمنين.

وقِيل: بل تسرّى بها. لكن المُصنِّف رجَّح أنَّها زوجة لأنَّه قال: (**عَقْدُ**)؛ لأنَّ العقد لا يكون إلَّا على الزوج؛ أمَّا الأَمَة لا تحتاج إلى عقد.

قال: (**وَعَقْدُ رَيْحَانَةَ**)؛ أي: رَيْحانة بنت زيد من بني قُرَيْظة.

(**فِي ذِي الْخَامِسَةْ**)؛ أي: في هذه السنة أيضًا.

(**ثُمَّ بَنُو لِحْيَانَ بَدْءُ السَّادِسَةْ**)؛ يعني: «غزوة بني لِحيان» أيضًا كانت في بداية السنة السادسة.

وكان بنو لِحيان أيضًا من القبائل التي تسكُن قريبة من المدينة، وكانوا يشترون السِّلاح، فسَمِعَ النبي عَلَيْهِ ٱلصَّلَاةُ وَٱلسَّلَامُ بذلك فذهب إليهم وقاتَلَ مَن وجَدَ منهم، وهرَبَ منهم مَن هرَب.

وأكثر القبائل التي كانت تسكُن حول المدينة كانوا أعرابًا، تعرفون الأعراب أيش طريقتهم؟ عندهم خِيام، إذا سَمِعوا أنَّ العدو جاي يشيلوا خيامهم تحرَّكوا إلى مكان آخر؛ يعني: ما كانت قُرَى؛ القُرى كانت نادرة في تلكم الأزمنة حول المدينة.

قال: (**وَبَعْدَه**)؛ أي: بعد هذه الغزوة وهي «غزوة بني لِحيان»، وفي نفس السنة السادسة أُصِيب الناس في المدينة بالقَحْط، فأصابهم جَدب، تأخَّر نزول المطر عن وقته فاشتكوا إلى النبي عَلَيْهِ ٱلصَّلَاةُ وَٱلسَّلَامُ، أهل الزَّرع يعلمون أنَّ المطر إذا تأخَّر عن وسمه فإنَّهم يتضرَّرون؛ إمَّا في نخيلهم، أو في ثِمارهم، أو في حبوبهم؛ فاشتكوا إلى النبي عَلَيْهِ ٱلصَّلَاةُ وَٱلسَّلَامُ؛ فأمرَهم بالخروج إلى المُصلَّى فصلَّى بهم، فسقاهُم الله تَبَارَكَ وَتَعَالَى، وكان هذا من استجابة الله لدعاء نبيِّه صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ.

إذًا. على هذا: أول صلاةٍ صلَّاها النبي عَلَيْهِ ٱلصَّلَاةُ وَٱلسَّلَامُ للاستسقاء كانت في أي سنة السادسة.

هل معنى هذا أنَّه ما استسقَى قبل ذلك؟ لا استسقَى في المنبر، وجاء هذا في عِدَّة أحادِيث؛ لكن المقصود هنا صلاة الاستسقاء؛ صلاة الاستسقاء أول ما فَعَلها النبي عَلَيْهِ ٱلصَّلَاةُ وَٱلسَّلَامُ على اختيار ابن أبي العِز كان في السنة السادسة.

قال: (**وَذُو قَرَدْ**)؛ أي: أيضًا «غزوة ذو قَرَد» كانت أيضًا في السنة السادسة.

(**وَصُدَّ عَنْ عُمْرتِهِ لَمَّا قَصَدْ**)؛ في السنة السادسة بعد غزوة ذِي قَرَد النبي عَلَيْهِ ٱلصَّلَاةُ وَٱلسَّلَامُ رأى في المنام أنَّه يدخُل المسجد الحرام، فأمَرَ أصحابه ممَّن يجد اليسار أن يسيروا معه إلى العُمرة، وأخبرهم أنَّه رأى في المنام أنَّه يدخُل المسجد الحرام آمنًا، فتجهَّز مَن تجهَّز معه حتى وصلوا الخبر إلى مَن حول المدينة من أعراب المسلمين فبلغوا قُرابة خمسمائة وألف إنسان.

وعَقَدَ الإحرام النبي عَلَيْهِ ٱلصَّلَاةُ وَٱلسَّلَامُ مع أصحابه من ذِي الحُلَيْفة، وساروا في هذه السنة -كما هو معلوم- إلى أن وصلوا إلى قُرب حدود الحرم، وهُم يُلبُّون، وهُم لا يلبسُون إلَّا الإحرام، وكانت العرب قبل إذا أحرَمَ الرجل لا يحمل معه إلَّا سيفه ليصُدَّ به السِّباع فقط؛ يعني: ما يشيل معه رِماح، ما يشيل معه نُبل، ما يشيل معه أشياء أخرى؛ إنَّما هو سلاح الرجل فقط؛ فهُم كانوا مُحرِمين وليس معهم إلَّا سلاح الر جل فقط، حتى إنَّ بعضهم لم يكن معه إلَّا العصى، بعضهم ما يملك حتى السيف لأنَّه جاي للعُمرة.

فلمَّا وصلوا إلى منطقة قريبة تُسمَّى «الحُدَيْبِيَة» بتخفيف الياء، أو «الحُدَيْبِيَّة» بتشديد الياء، وهذه المنطقة بعض أجزائها داخل حدود الحرم، وبعض أجزائها خارج حدود الحرم.

عَلِمَتْ قريش بمَقدَم النبي عَلَيْهِ ٱلصَّلَاةُ وَٱلسَّلَامُ والصحابة مُعتمِرين؛ فتجهَّزوا للقتال، هو والصحابة ما تجهَّزوا للقتال، فجاءوا ومَنَعوهم من دخول إلى الكعبة، النبي عَلَيْهِ ٱلصَّلَاةُ وَٱلسَّلَامُ لمَّا سَمِعَ أنَّهم تجهَّزوا للقتال أرسل -كما تعلمون- عثمان بن عفَّان إلى مكة سفيرًا ليُخبرهم أنَّه ما جاء للقتال؛ إنَّما جاء للعُمرة.

طيب. ها هنا مسألة: كيف يعتمر النبي عَلَيْهِ ٱلصَّلَاةُ وَٱلسَّلَامُ والصحابة وحول الكعبة الأصنام؟ هذا فيه دلالة على أنَّه إذا وُجِدَ علامات الكُفر في الأماكن المُقدَّسة الناس لا يتركون العبادة لأجل ذلك.

يعني -مثلًا-: الآن تعلمون أنَّ إخواننا في فلسطين نسأل الله عَزَّوَجَلَّ أن يُفرِّج كَرْبهم، وأن يكُفَّ بأس اليهود عنهم، وأن يُفرِّق شمل اليهود وجَمْعهم، وأن يجعل الدَّائرة عليهم؛ تعلمون أنَّهم يشدُّون على المسلمين حتى لا يصل إلى المسجد الأقصَى. صح ولَّا لا؟ فلا ينبغي لأحد أن يقول: أنا أترك الصالة في المسجد الأقصَى لأجل أنَّها في حمِيَّة اليهود، أو في حِماية اليهود.

إنَّ النبي عَلَيْهِ ٱلصَّلَاةُ وَٱلسَّلَامُ في «صُلح الحُدَيْبِيَة» أراد أن يذهب إلى العُمرة وحول الكعبة أيش؟ الأصنام. ينبغي لنا أن نفهم السِّيرة لنعرف كيف نعمل، وكيف نتعلَّم، ونقِيس الأمور؟

فقريش قالوا لعُثمان: لا والله؛ لا يتحدَّث الناس أنَّكم دخلتُم بدون إذنٍ مِنَّا، والله لترجعُنَّ أو لنُقاتلنَّكم جميعًا. فوجودها فرصة، طبعًا ما يقدرون يقاتلونهم لأنَّهم لابسين إحرام؛ فوجدوا الفُرصة

أنَّهم يُهدِّدونهم أن يقولوا: ما تدخلون ترجعون بإحرامكم، وإن دخلتُم غصبًا فأنتم تعدَّيْتم على أهل البيت؛ تستحقُّون القتال. هذه حُجَّتهم.

ومُنِعَ عثمان رَضِيَٱللَّهُعَنْهُ وأُخِّرَ فظنَّ النبي عَلَيْهِٱلصَّلَاةُوَٱلسَّلَامُ والصحابة أنَّ عُثمان قد قُتِل؛ فالنبي عَلَيْهِٱلصَّلَاةُوَٱلسَّلَامُ جمَعَ أصحابه وبايَعهم «بَيْعة الرِّضوان»؛ لذلك قال: **(وَصُدَّ عَنْ عُمْرتِهِ لَمَّا قَصَدْ)**؛ يعني: قصَدَ البيت الحرام للعُمرة.

وهذه العُمرة تُسمَّى فيما بعد بـ«عُمرة الحُدَيْبِيَة»، وهي عُمرة الإحصاء مُنِعُوا عنها، طبعًا هي تُسمَّى «عُمرةً» باعتبار دخولهم في النُّسُك وإلَّا ما أدُّوا العُمرة.

(وَبَيْعَةُ الرِّضْوَانِ بَعْدُ). **(بَعْدُ)**؛ يعني: بعد حادثة صدِّهم عن البيت، وهذه البَيْعة مذكورة في «سورة الفتح» ﴿لَّقَدْ رَضِيَ ٱللَّهُ عَنِ ٱلْمُؤْمِنِينَ إِذْ يُبَايِعُونَكَ تَحْتَ ٱلشَّجَرَةِ فَعَلِمَ مَا فِي قُلُوبِهِمْ﴾ [سورة الفتح، من الآية:١٨]؛ في «سورة الفتح».

ولذلك كان «صُلْح الحُدَيْبِيَة» فتحًا عظيمًا، وإن كان في بنود المُصالحة من الأمور والأشياء والعقود والشروط التي ظاهرها الحيف في حق المسلمين.

فالنبي عَلَيْهِٱلصَّلَاةُوَٱلسَّلَامُ بايَعَ أصحابه أنَّهم يُقاتلون بملابس الإحرام، وما معهم من العُدَّة ولو لم يكونوا متجهِّزين للقتال إذا كانوا قد قَتَلوا عُثمان؛ لأنَّ كونهم قتلوا عُثمان جِنايتان:

- جِناية قَتْل المُحرِم.
- وقَتْل الرسول.

وهذا لا يجوز حتى في البيت؛ فحينئذٍ لا يكون لِقتال المسلمين لهُم أي عُذرٍ لهُم، لا عند الله عَزَّوَجَلَّ، ولا عند الناس؛ فبايعوا النبي عَلَيْهِٱلصَّلَاةُوَٱلسَّلَامُ على القِتال.

وجاء في حديثٍ آخر: أنَّهم بايَعوا على الموت. وهذا لا يتعارَض؛ الصحيح من أقوال أهل العلم: أنَّ مُبايعتهم للنبي عَلَيْهِٱلصَّلَاةُوَٱلسَّلَامُ على القِتال، ومبايعتهم للنبي عَلَيْهِٱلصَّلَاةُوَٱلسَّلَامُ على الموت ليس بين تلك البَيْعتَيْن أي تعارُض من وجهين:

الوجه الأول: أنَّه بايَع بعضهم بلفظ «القتال»، وبايَع بعضهم بلفظ «الموت». هذا وجهٌ صحيح ذكَرَه الحافظ ابن حجر وغيره.

الوجه الثاني: أنَّ بَيْعَته لهُم على القتال يلزم منه أن يُقاتلوا، ولا يفرُّون حتى يفتح الله لهُم أو يموتوا؛ فهي هي، النتيجة واحدة.

قال: (**وَبَنَى فِيهَا بِرَيْحَانَةَ هَذَا بَيِّنًا**)؛ يعني: العقد على رَيْحانة بنت زيد القُرَظِيَّة كان في السنة الخامسة، والبِناء كان في السنة السادسة.

وهذا إذا ثبَتَ فإنَّه يدلُّ على أنَّه يجوز أنَّ الإنسان يعقِد في وقت، ويدخُل على أهله في وقتٍ متأخِّر، وهذا الأمر جائز باتِّفاق العلماء، سواء ثبَتَ هذا أو لم يثبُت؛ يجوز للإنسان أن يعقد في وقت، ويدخُل في وقتٍ آخر، سواء وُجِدَ هذا الشرط عند العقد أو لم يُوجد؛ لكن بشرط: أن يكون ذلك على رِضًا من الطرفين.

قال: (**هَذَا بَيِّنًا**)؛ يعني: أمرٌ واضح.

(**وَفُرِضَ الْحَجُّ بِخُلْفٍ فَاسْمَعَهْ**)؛ هل فُرِضَ الحج في السنة السادسة أو في السنة السابعة أو السنة الثامنة أو في السنة التاسعة؟

أقوالٌ عِدَّة، أشهَر الأقوال: أنَّ الحج فُرِضَ في السنة الثامنة بعد فَتح مكة، والمُصنِّف قال: (**وَفُرِضَ الْحَجُّ بِخُلْفٍ**)؛ أي: فُرِض الحج في هذه السنة السادسة (**بِخُلْفٍ**)؛ أي: باختلافٍ. أو (**بِخُلْفٍ**)؛ بمعنى: بقولٍ مرجوح؛ يحتمل المعنيَيْن (**فَاسْمَعَهْ**). لكن ذِكرُه إيَّاه يدلُّ على ارتضائه.

قد يقول قائل: فُرِض الحج في السنة السادسة:

وفي السنة السابعة: ما حجَّ أحد من المسلمين إلَّا أن يكونوا أفرادًا.

لكن في السنة الثامنة: لمَّا فتَحَ الله مكة أمَرَ النبي عَلَيْهِ ٱلصَّلَاةُ وَٱلسَّلَامُ عتَّاب بن أُسَيْد فحجَّ بالناس.

وفي السنة التاسعة: أمَرَ النبي عَلَيْهِ ٱلصَّلَاةُ وَٱلسَّلَامُ أبا بكر فحجَّ بالناس.

وفي السنة العاشرة: حجَّ هو.

فإن قال قائل: هل يدلُّ على قول الجمهور: بأنَّ الحج ليس فرضًا على الفور لأنَّه فُرِضَ في السنة السادسة -على هذا القول-، أو في السنة السابعة -على القول الثاني-، أو في الثامنة -على ما رجَّحته ورجَّحه غير واحد من أهل العلم السابقِين وأنا مُقلِّدٌ لهم، وحجَّ في السنة التاسعة!

فالجواب: أنَّ تأخيره الحج لسببٍ شرعيٍّ وليس لكونه ليس فرضًا على الفور؛ ما هو السبب الشرعي؟ وجود الأصنام.

ما هو السبب الشرعي؟ حج المشركِين.

ففي السنة الثامنة لمَّا حجَّ عتَّاب كان المشركون يحجُّون.

وفي السنة التاسعة لمَّا حجَّ أبو بكر: كان المشركون يحجُّون.

لكن جاء -كما سيأتي- النِّداء: بأن لا يحُجَّ العام القادم مُشرك، وألا يطُوف بالبيت عُريان. فحصَلَ التطهُّر التام، وحجَّ النبي عَلَيۡهِ ٱلصَّلَاةُ وَٱلسَّلَامُ في السنة العاشرة.

قال: (**وَكَانَ فَتْحُ خَيْبَرٍ فِي السَّابِعَةْ**)؛ وهذا باتِّفاق المؤرِّخِين «فَتح خَيْبَر» وهي قلعةٌ ومدينةٌ من مُدُن اليهود إذ ذاك، اليهود -كما ذكرْتُ قبل- سكنوا المدينة، وخَيْبَر، ووادي القُرَى، ونجران في جهة اليمن؛ لماذا؟ لأنَّهم كانوا يعلمون عِلم اليقين أنَّ نبيَّ آخر الزمان يخرج في وادٍ بين النَّخل، وهذه الأماكن الأربعة كلُّها هي وِديانٌ بين الجبال، وهي مليئة بالنخيل.

وكانت من القبائل اليهوديَّة التي نزحَتْ من المدينة سواء بني قَيْنُقاع، أو بني قُرَيْظة، أو بني النَّضِير؛ ذهبوا وسكنوا في خَيْبر، وبعضهم ذهبوا وسكنوا في وادي القرى.

فالنبي عَلَيۡهِ ٱلصَّلَاةُ وَٱلسَّلَامُ بعد أن رجع من صُلْح الحُدَيْبِيَة وحصَلَ الصُّلح، وتحلَّلوا من عُمرتهم تحلُّل الإحصاء، تحلَّلوا من عُمرتهم رجعوا، جلس أيامًا في المدينة ثم تجهَّز لفتح خَيْبَر، وكان ذلك في السنة السابعة.

قال:

وَحَظْرُ لَحْمِ الْحُمُرِ الْأَهْلِيَّةْ فِيهَا وَمُتْعَةِ النِّسَا الرَّدِيَّةْ

أمَّا تحريم لحم الحُمُر الأهليَّة: فالاتِّفاق كان في السنة السابعة، والحديث في [**البُخاري**]: أنَّ النبي رأَى قدورًا قال: «**عَلَى أَيِّ شَيْءٍ تُوْقَدُ النِّيرَان؟**» قالوا: على لحم الحُمُر الأهليَّة. قال: فأمَرَ أن تُكفَى هذه القدور، وأخبر أنَّها رِجس. وهذا نصٌّ في أنَّ الحُمُر الأهليَّة رِجسٌ.

وهل الحُمُر الأهليَّة رجسٌ لكونها أهليَّة؟ لأنَّ الحُمُر الوحشية مُباحة بالاتِّفاق، سواء كانت مُخطَّطة، منقَّطة، غير مُخطَّطة ولا مُنقَّطة؛ ما دامت وحشية فهي مُباحة.

ولذلك قال أهل العلم: إنَّ سبب التحريم لكونها مركوبًا. وقال آخرون: بل لكونها نجسة. واختلفوا في سبب نجاستها:

قال بعضهم: لأنَّها تأكُل عَذِرَة الدَّواب. طيب. عذرة الدواب ليست بنجسة!

قال آخرون: بل لأنَّها تأكُل عذرات الناس، وهذه نجسة بالإجماع.

وعلى كل حال... فالحديث واضح أنَّ النبي عَلَيْهِ ٱلصَّلَاةُ وَٱلسَّلَامُ قال عن الحُمُر الأهليَّة: «**إِنَّهَا رِجْسٌ**».

وأمَّا (**مُتْعَةُ النِّسَا الرَّدِيَّةْ**)؛ فذكَرَ العلَّامة ابن القيِّم في [**الزاد**]: أنَّ مُتعة النساء كان أمرًا معروفًا شائعًا بين الناس، سواء في بلاد العرب أو في بلاد العجم؛ كان الرجل يُعطِي المرأة مالًا على أن يتمتَّع بها شهرًا أو أسبوعًا أو... أو... إلى آخره. قال ابن القيِّم: إنَّها حُرِّمَتْ على مراحل:

أول التحريم: جاء في السنة السابعة في «غزوة خَيْبَر»؛ حرَّم مُتعة النساء مُطلَقًا.

ثم في «غزوة أوطاس» أي: في السنة الثامنة: أباح المُتعة للحاجة والضرورة.

ثم: حُرِّمَ مُطلَقًا.

وقال بعض العلماء: بل إنَّ تحريم مُتعة النِّساء حُرِّمَ في السنة السابعة؛ أي: بعد غزوة خَيْبَر مباشرةً، ولم تُحَل بعد ذلك. وحَمَلوا حديث أبي موسى الأشعري وتمتُّعهم بنساء هوازن حَمَلوه على أنَّهُنَّ كُنَّ إماء.

وعلى كل حال... فالمُتعة (زواج المُتعة) مُحرَّمٌ.

ومن الذين رووا أحادِيث تحريم المُتعة علي بن أبي طالب رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُ كما في الصحيح قال: حرَّمَ رسول الله صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ الحُمُر الأهليَّة، ومُتعة النساء.

قال: (**وَسُمَّ فِي شَاةٍ بِهَا هَدِيَّةْ**)؛ النبي عَلَيْهِ ٱلصَّلَاةُ وَٱلسَّلَامُ بعد فَتح خَيْبَر لم يقف، ولم يرجع إلى المدينة؛ سار إلى جهة وادي القُرى، وكما ذكرتُ: وادي القُرَى كانت أيضًا مدينةً يهوديَّة، وبين وادي القُرى وبين خَيْبر مسافة تقريبًا أكثر من مائة كيلو، أو قُرابة ٢٠٠ كيلو.

في الطريق -وقِيل: في خَيْبَر- قدَّمَتْ امرأةٌ يهوديَّة شاةً مسمومة للنبي عَلَيْهِ ٱلصَّلَاةُ وَٱلسَّلَامُ والصحابة، وكان عَلَيْهِ ٱلصَّلَاةُ وَٱلسَّلَامُ لا يرُدُّ الهديَّة؛ ولذلك قال المُصنِّف: (**وَسُمَّ فِي شَاةٍ**). (**سُمَّ**)؛ بالبناء لِمَا يُسمَّ فاعله؛ أي: وُضِعَ السُّمُّ في شاةٍ، معلوم أنَّ التي وضعَتْ السُّمّ هي تلك اليهوديَّة.

قال: (**بِهَا هَدِيَّةٌ**)؛ لأنَّ النبي عَلَيْهِ ٱلصَّلَاةُ وَٱلسَّلَامُ ما كان يرُد الهديَّة.

فأكَلَ منها لُقمة أو لُقمتين ثم أُنزِلَ عليه الوحي فقال النبي عَلَيْهِ ٱلصَّلَاةُ وَٱلسَّلَامُ لأصحابه: «**أَمْسِكُوا فَإِنَّ هَذِهِ الشَّاةَ مَسْمُومَةٌ**»؛ فأمسكوا، ومات بعضهم ممَّن كان من سرعان الناس في الأكل من أَثَر هذه الشاة المسمومة.

قال: (**ثُمَّ اصْطَفَى صَفِيَّةً صَفِيَّةْ**)؛ صفية بنت حُيَي بن أخطب اليهوديَّة صارَتْ في نصِيب دِحية الكلبي، والنبي عَلَيْهِ ٱلصَّلَاةُ وَٱلسَّلَامُ تزوَّجها رجاء إسلام قومها، لا سيَّما وقد أقرَّ أهل خَيْبَر على أن يُزارعوا الأرض، ولمَّا يعلمون أنَّ النبي عَلَيْهِ ٱلصَّلَاةُ وَٱلسَّلَامُ تزوَّج من ابنة سيِّدهم فهذا تأليف لقلوبهم؛ فتزوَّجها النبي عَلَيْهِ ٱلصَّلَاةُ وَٱلسَّلَامُ ولم يتسرَّ بها إكرامًا لها.

وحصَلَ بينها وبين بعض نسائه نِزاع، واتَّهموها بأنَّها يهوديَّة، فوجدها النبي عَلَيْهِ ٱلصَّلَاةُ وَٱلسَّلَامُ غَضبة فقال لها: «**هَلَّا قُلْتِ لَهُمْ: أَنَّكِ ابْنَةُ نَبِيّ**»؛ وذلك لأنَّها من ذرية هارون بن عِمران أخي موسَى بن عِمران.

وزواج النبي عَلَيْهِ ٱلصَّلَاةُ وَٱلسَّلَامُ من صفية من أعظم دلالات النبوَّة؛ لأنَّ العادة المطَّردة أنَّ الإنسان لا يطمئن إلى مَن قد حصَل منه قَتْلٌ لأبيها ولزوجها ولأخيها، فلمَّا تزوَّجها النبي عَلَيْهِ ٱلصَّلَاةُ وَٱلسَّلَامُ وعاشَتْ هي سعيدة مع النبي عَلَيْهِ ٱلصَّلَاةُ وَٱلسَّلَامُ يعلم الإنسان عِلم اليقين أنَّه دخل في قلبها من الإيمان ومن الإقرار ومن اليقين ما نَسِيَتْ الغموم كلَّها، واطمأنَّ النبي عَلَيْهِ ٱلصَّلَاةُ وَٱلسَّلَامُ إليها؛ ذلك لأنَّه معصوم عَلَيْهِ ٱلصَّلَاةُ وَٱلسَّلَامُ.

قال:

ثُمَّ عَلَى أُمِّ حَبِيبَةَ عَقَدْ وَمَهْرَهَا عَنْهُ النَّجَاشِيُّ نَقَدْ

في السنة السابعة أيضًا جاء الخبر إلى النبي عَلَيْهِ ٱلصَّلَاةُ وَٱلسَّلَامُ أنَّ زوج أم حبيبة مات، وهذا هو الصحيح.

وأمَّا مَن قال: أنَّ زوج أم حبيبة ارتدَّ وصار نصرانيًّا ومات. فهذا مذكور في كُتب التاريخ والسِّيَر لكن لا يصحّ؛ لماذا لا يصحّ؟ أقول لكم لماذا لا يصح؟

أم حبيبة بنت مَن؟

طالب: ..... (١٧: ٣٧).

أحسنت! بنت أبي سُفيان، أم حبيبة رملة بنت أبي سُفيان، وزوجها يكون صِهر أبي سُفيان ولَّا لا؟ طيب. في السنة اللي بعدها أو في نفس السنة بعد غزوة خَيْبَر وبعد غزوة وادي القُرَى النبي عَلَيْهِ ٱلصَّلَاةُ وَٱلسَّلَامُ أرسَل الرُّسُل إلى الملوك والأُمراء، ومن هذه الرسائل التي وصلَتْ إلى ملِك الرُّوم، وملك الرُّوم طلب أبا سُفيان سأله: هل أحدٌ منهم يرتدُّ سُخطةً لدِينه؟

أنا أسألكم سؤال: لو كان زوج ابنته ارتدَّ ما كان يقول: لا؟ يقول: لا. ولَّا ما يقول؟

إذًا. هذا دليل في [**البخاري**] أنَّ هذا الكلام غير صحيح، ما كُتِبَ في كُتُب التاريخ: أنَّه ارتدَّ وصار نصرانيًّا في الحبشة، ثم مات. هذا غير صحيح؛ الصحيح: أنَّه مات على الإسلام.

فعَلِمَ النبي عَلَيْهِ ٱلصَّلَاةُ وَٱلسَّلَامُ إمَّا بالأخبار، أو بالوحي، فأرسَل رسالةً إلى النجاشي: أن يكون وكيلًا للنبي عَلَيْهِ ٱلصَّلَاةُ وَٱلسَّلَامُ، وأن يعقِد له على أم حبيبة وهي هناك في بلاد الحبشة، وأن يُركِبها ويُرسلها بسفينةٍ إلى المدينة.

فصار النجاشيُّ وكيلًا للنبي عَلَيْهِ ٱلصَّلَاةُ وَٱلسَّلَامُ، ومَهَرَها عنه النجاشيُّ نَقَد؛ فالنجاشي أمهَرَها أعطاها المَهر، وأركبها سفينة، ثم جاءَتْ أم حبيبة ومعها أُناسٌ من الحبشة حتى نزلوا في البحر إلى منطقة قريبة من ينبع على البحر، ثم ساروا إلى المدينة.

قال: (**ثُمَّ أَتَتْ**)؛ أي: بعد العقد.

(**وَمَنْ بَقِي مُهَاجِرًا**)؛ المهاجرون جاءوا بعد ما عَلِمُوا أنَّ الله عَزَّوَجَلَّ فَتَحَ خَيْبَر، وصار للمسلمين دولة في المدينة.

(**وَعَقْدُ مَيْمُونَةَ كَانَ الآخِرَا**)؛ وهذه فائدة لطيفة من ابن أبي العِز: آخر امرأةٍ تزوَّجها النبي عَلَيْهِ ٱلصَّلَاةُ وَٱلسَّلَامُ هي ميمونة بنت الحارث الهلاليَّة، وهي خالة عبد الله بن عباس، أخت أم عبد الله بن عباس (أم الفَضْل)، ولم يتزوَّج النبي عَلَيْهِ ٱلصَّلَاةُ وَٱلسَّلَامُ بعدها بامرأةٍ حتى توفَّاه الله تَبَارَكَ وَتَعَالَىٰ.

إذًا آخر زواجٍ كان للنبي عَلَيْهِ ٱلصَّلَاةُ وَٱلسَّلَامُ في السنة السابعة بميمونة.

قال:

وَقَبْلُ إِسْلَامُ أَبِي هُرَيْرَةْ وَبَعْدُ عُمْرةُ الْقَضَا الشَّهِيرَةْ

(**وَقَبْلُ**)؛ أي: قبل فَتْح خَيْبَر.

(**إِسْلَامُ أَبِي هُرَيْرَةْ**)؛ هنا في كلمة (**إِسْلَامُ أَبِي هُرَيْرَةْ**)؛ في نفسي من هذا شيء؛ وذلك لأنَّ الذي ظهَرَ لي -والله أعلم- أنَّ أبا هريرة رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُ أتى إلى المدينة مسلِمًا، وكان قد أسلَمَ على يدَيْ الطُّفَيْل، وكان الطُّفَيْل قديم الإسلام في مكة، وذهب داعيةً في دَوْس يدعُو إلى الله عَزَّوَجَلَّ؛ لكن قُدوم أبي هريرة إلى المدينة كان قبل غزوة خَيْبَر، وقِيل: في أثناء غزوة خَيْبَر.

وهل النبي عَلَيْهِ ٱلصَّلَاةُ وَٱلسَّلَامُ حَسِبَ له شيء من غنائم خَيْبَر أو لا؟ في هذا الظَّاهر أنَّهم جاءوا بعد قسمة الغنائم؛ فما أدرك شيئًا من ذلك أبو هريرة؛ لذلك كان فقيرًا، وإلَّا لو أصابه شيءٌ من سهم خَيْبَر لَمَا كان فقيرًا؛ فإنَّ كثيرًا من الصحابة -رِضْوَانُ اللهِ عَلَيْهِمْ- اغتنوا بعد نصيبهم من غزوة خَيْبَر.

قال: (**وَبَعْدُ عُمْرةُ الْقَضَا الشَّهِيرَةْ**)؛ النبي عَلَيْهِ ٱلصَّلَاةُ وَٱلسَّلَامُ اعتَمَر أربع عُمَر: (**عُمْرةُ الْقَضَا**)؛ وكان في ذِي القِعدة من السنة السادسة؛ يعني: قبل انتهاء السنة بشهر أو شهر ونِصف، ثم عُمرة الجِعِرَّانة.

أربع عُمَر:

- عُمرة القضية.
- وعُمرة الجِعِرَّانة.
- وعُمرة الحج.

ما هي الرابعة؟

طالب: الحُدَيْبِيَة.

- عُمرة الحُدَيْبِيَة التي أُحصِر عنها.

هذه أربع عُمَر، وهذا يدلُّ على أنَّ الإنسان إذا أُحصِر عن عبادة فإنَّها تُحسَب له بالنِّيَّة إن شاء الله تعالى.

قال:

وَبَعْدُ عُمْرَةُ الْقَضَا الشَّهِيرَةْ

وَالرُّسْلَ فِي الْمُحَرَّمِ الْمُحَرَّمِ أَرْسَلَهُمْ إِلَى الْمُلُوكِ فَاعْلَمِ

في شهر المُحرَّم من العام الثامن أرسل النبي عَلَيْهِ ٱلصَّلَاةُ وَٱلسَّلَامُ الرُّسُل إلى الملوك والأُمراء في حِينه، وكان من هؤلاء ملك مِصر وكان يُلقَّب بـ «المقوقس»، وكذلك «قيصر» ملك الرُّوم، وكذلك «كِسرَى» ملك الفُرْس، وهي ألقاب، مثل الألقاب اليوم عندنا (الرئيس، والشيخ، والأمير)؛ هذه ألقاب كانت عندهم في أزمانهم.

والنبي عَلَيْهِ ٱلصَّلَاةُ وَٱلسَّلَامُ أرسَلَ رسالةً فيها الدعوة إلى الإسلام كما هو معلوم في [**صحيح البُخاري**] من حديث عبد الله بن عباس: أنَّ النبي عَلَيْهِ ٱلصَّلَاةُ وَٱلسَّلَامُ أرسَلَ دِحية إلى ملك الرُّوم، وأرسَل معه برسالة فيها: «**بِسْمِ اللهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ. مِنْ مُحَمَّدٍ رَسُولِ اللهِ إِلَى هِرَقْلَ عَظِيمِ الرُّومِ..... إلى آخره**»، وهكذا إلى جميع الملوك.

قال: (**فَاعْلَمِ**)؛ إذًا بداية عالمية الدعوة كانت في المُحرَّم من السنة الثامنة.

قال:

وَأُهْدِيَتْ مَارِيَةُ الْقِبْطِيَّةْ فِيهِ وَفِي الثَّامِنَةِ السَّرِيَّةْ

الملوك والأمراء اختلفَتْ أنظارهم في جواب النبي عَلَيْهِ ٱلصَّلَاةُ وَٱلسَّلَامُ:

- **فملك الفُرس**: مزَّق الرسالة، ولمَّا عَلِمَ النبي عَلَيْهِ ٱلصَّلَاةُ وَٱلسَّلَامُ بذلك دعا عليه على ملك الفُرس؛ فمزَّقَ الله مُلكه.
- **وأمَّا ملك مصر المقوقس**: فأرسل إلى النبي عَلَيْهِ ٱلصَّلَاةُ وَٱلسَّلَامُ يُلاطِفه بهديةٍ مارية القِبطية أرسلها على أنَّها أَمَة للنبي عَلَيْهِ ٱلصَّلَاةُ وَٱلسَّلَامُ هدية، وأرسَلَ أيضًا ببغلة، وأرسل بهدايا وعطايا من الثياب والخز وغير ذلك من الهدايا المعروفة لدى الملوك في تلكم الأزمنة.
- وبعضهم لم يُرسِل له بجواب، كملك الرُّوم.

قال: (**وَفِي الثَّامِنَةِ السَّرِيَّةْ لِمُؤْتَةٍ سَارَتْ**)؛ «غزوة مؤتة» باتِّفاق المؤرِّخين كانت في السنة الثامنة؛ لكن اختلفوا في الشهر.

وفي السنة الثامنة أرسَلَ النبي عَلَيْهِ ٱلصَّلَاةُ وَٱلسَّلَامُ -كما تعلمون- سَريَّةً، والسَّرِيَّة: اسمٌ لكلِّ معركةٍ تمَّتْ في زمن النبي عَلَيْهِ ٱلصَّلَاةُ وَٱلسَّلَامُ جاوز عدد أفرادها العشرين والمائة، أو مائة وزيادة، ولم يكن هو عليها؛ فهذه تُسمَّى «سَرِيَّة».

فساروا إلى مؤتة بقيادة زيد بن حارثة، والنبي عَلَيْهِ ٱلصَّلَاةُ وَٱلسَّلَامُ كما تعلمون القصة في الصحيح، قال: «**إِنْ مَاتَ زَيْدٌ فَجَعْفَرٌ، وَإِنْ مَاتَ جَعْفَرُ فَعَبْدُ اللهِ بْنِ رَوَاحَةَ**»؛ فمات الثلاثة فصار الذي حصل أنَّ المسلمين اختلفوا فيما بينهم فقدَّموا خالد بن الوليد فاستطاع بحِنكةٍ حربيَّة أن يخرُج من هذه المعركة بأقل الخسائر، ورجعوا إلى المدينة.

طبعًا «مؤتة» اسم مكان في جهة تَبُوك، وكانت القبائل العربيَّة اجتمعَتْ مع قبائل الإفرنج لمُقاتلة النبي عَلَيْهِ ٱلصَّلَاةُ وَٱلسَّلَامُ؛ ففرَّق الله جَمْعهم بعد هذه الغزوة، وإن كانت الخسائر للمسلمين؛ لكنَّهم قاتلوا قِتالًا عظيمًا.

قال: (**وَفِي الصِّيَامِ قَدْ كَانَ فَتْحُ الْبَلَدِ الْحَرَامِ**)؛ أي: في السنة الثامنة في شهر رمضان -(**فِي الصِّيَامِ**)؛ أي: في شهر رمضان- كان فَتْح البلد الحرام، وهذا باتِّفاق المؤرِّخين: أنَّ فَتْح مكة كان في السنة الثامنة، وفي شهر رمضان؛ وإنَّما اختلفوا في يوم الفتح هل كان في السابع عشر، أو في التاسع عشر، أو في الحادي والعشرين من رمضان؟

قال: (**وَبَعْدَهُ**)؛ أي: بعد فَتح مكة.

(**قَدْ أَوْرَدُوا مَا كَانَ فِي يَوْمِ حُنَيْنٍ ثُمَّ يَوْمِ الطَّائِفِ**)؛ لمَّا فتَحَ الله مكة كسَّر النبي عَلَيْهِ ٱلصَّلَاةُ وَٱلسَّلَامُ الأصنام، وسَمِعَ أنَّ الهاربين من مكة ذهبوا إلى الطائف واجتمعوا مع قبائل هوازن هناك وثقِيف لقِتال النبي عَلَيْهِ ٱلصَّلَاةُ وَٱلسَّلَامُ.

واجتمعَ معه قبائل من جنوب الطائف، فأراد النبي عَلَيْهِ ٱلصَّلَاةُ وَٱلسَّلَامُ أن يُباغتهم فذهب إليهم في معركة تُسمَّى بـ «غزوة حُنَيْن»، وتُسمَّى أيضًا بـ «يوم الطَّائف»، وتُسمَّى أيضًا بـ «ذِي أوطاس» - «حُنَيْن» اسم منطقة، و «ذِي أوطاس» اسم منطقة-، وتُسمَّى بـ «غزوة هوازن»؛ نسبة القبيلة العظيمة التي كانت تسكُن في الطائف.

قال: (**كَانَ فِي يَوْمِ حُنَيْنٍ ثُمَّ يَوْمِ الطَّائِفِ**)؛ يعني: في السنة الثامنة.

والصحيح: أنَّها كانت في شهر ذِي القِعدة.

طيب. قد يقول قائل: أليس القِتال مُحرَّمًا في شهر ذِي القِعدة؟ أليس القتال مُحرَّمًا في أشهُر الحُرُم؟ بعض العلماء قالوا: إنَّها كانت في شوال، وشوَّال من أشهُر الحج وليس من الأشهُر الحُرُم. وهذا في نفسي أقرب؛ لأنَّه لا ينبغي للمسلم أن يبدأ القِتال في أشهُر الحج إلَّا أن يضطَّر.

قال: (**وَبَعْدُ فِي ذِي الْقَعْدَةَ**). (**ذِي الْقَعْدَةَ**) بالفتح، وقِيل: (**ذِي الْقِعْدَةَ**). والفتح أشهَر، وهي من أشهُر الحج، ومن أشهُر الحُرُم (ذي القعدة، وذِي الحجَّة، والمُحرَّم) ثلاثةٌ سردٌ من أشهُر الحُرُم، و(**ذِي الْقَعْدَةَ**)؛ كلُّها من أشهُر الحج، وعشرٌ من ذِي الحجَّة من أشهُر الحج.

(**وَبَعْدُ فِي ذِي الْقَعْدَةِ اعْتِمَارُهْ مِنَ الْجِعِرَّانَةِ**). (**الْجِعِرَّانَةِ**)؛ بتشديد الراء، ويجوز تخفيفها (**جِعْرَانَةِ**)؛ وهي منطقة بين الطائف ومكة من جهة السَّيْل، وإلى اليوم الجِعرَّانة موجودة بهذا الاسم.

قال: (**وَاسْتِقْرَارُهْ**). (**اسْتِقْرَارُهْ**)؛ يمكن أن يصحّ أنَّ الضمير يرجع إلى النبي عَلَيْهِ ٱلصَّلَاةُ وَٱلسَّلَامُ استقرَّ لأنَّ الله فتَحَ له مكة وما حولها؛ فلم يبقَ أحدٌ يستطيع أن يُقاتل المسلمين.

ويمكن أن يكون المقصود (**وَاسْتِقْرَارُهْ**)؛ أنَّ الضمير راجع إلى البيت؛ أي: استقرَّ البيت للمسلمين.

قال: (**وَبِنْتُهُ زَيْنَبُ مَاتَتْ ثُمَّا**)؛ أي: بعد ذِي القِعدة من السنة الثامنة ماتت زينب بنت النبي عَلَيْهِ ٱلصَّلَاةُ وَٱلسَّلَامُ التي كانت تحت ابن أبي العاص.

قال: (**ثُمَّا مَوْلِدُ إِبْرَاهِيمَ فِيهَا حَتْمَا**)؛ النبي عَلَيْهِ ٱلصَّلَاةُ وَٱلسَّلَامُ رزَقه الله من مارية القِبطية بابن وسمَّاه على أبيه إبراهيم؛ سمَّاه «إبراهيم»، وكان هذا في السنة الثامنة في آخرها.

تعلمون أنَّ إذا كانت الهدية أُهدِيَتْ إليه مثلًا في شهر صفر، ودخل بها النبي صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ في شهر صفر، فهي تحمل تسعة أشهُر، فإمَّا ولادة إبراهيم كان في ذِي القِعدة وفي ذِي الحجَّة في آخر هذه السنة.

قال:

وَوَهَبَتْ نَوْبَتَهَا لِعَائِشَةْ سَوْدَةُ مَا دَامَتْ زَمَانًا عَائِشَةْ

وسَوْدة بنت زمعة القُرشيَّة كانت امرأة كبيرة مُسنَّة تزوَّجها النبي عَلَيْهِ ٱلصَّلَاةُ وَٱلسَّلَامُ بعد خديجة:

أولًا: بسبب أنَّ زوجها قد مات وكان مسلمًا فأراد أن يأويها.

ثانيًا: لأنَّه كان بحاجةٍ إلى امرأةٍ ليهتمَّ بأولاده بعد موت خديجة.

فلمَّا كبُرَ سِنَّها خشيَتْ أنَّ النبي عَلَيْهِ ٱلصَّلَاةُ وَٱلسَّلَامُ يُفارقها لا سيَّما وقد أنزل الله ﴿تُرْجِي مَن تَشَآءُ مِنْهُنَّ وَتُـْٔوِيٓ إِلَيْكَ مَن تَشَآءُ﴾[سورة الأحزاب، من الآية:٥١]؛ فوهبَتْ يومها للنبي عَلَيْهِ ٱلصَّلَاةُ وَٱلسَّلَامُ شريطة أن تبقَى في زوجات النبي عَلَيْهِ ٱلصَّلَاةُ وَٱلسَّلَامُ حتى لا تخرُج من أمَّهات المؤمنين.

وهذه مسألة مهمة: أيُّ زوجةٍ طلَّقها النبي عَلَيْهِ ٱلصَّلَاةُ وَٱلسَّلَامُ سواء دخَلَ بها أو لم يدخُل فهي تخرُج من مُسمَّى زوجات النبي عَلَيْهِ ٱلصَّلَاةُ وَٱلسَّلَامُ؛ لأنَّ شرط تسمية زوجات النبي عَلَيْهِ ٱلصَّلَاةُ وَٱلسَّلَامُ بـ «أُمَّهات المؤمنين»: ألا يعقدْنَ عليهِنَّ بخلاف الإماء، واللائي مِتْنَ أو مات هو عنهُنَّ وهي في ذِمَّته.

هذا هو شرط في قوله: ﴿وَأَزْوَٰجُهُۥٓ أُمَّهَٰتُهُمْ﴾[سورة الأحزاب، من الآية:٦].

قال: (**مَا دَامَتْ زَمَانًا**)؛ أي: ما دامَتْ حيَّة لعائشة رَضِيَ اللهُ تَعَالَى عَنْهَا.

وهذا فيه دلالة على ما نعرف اليوم من بعض الأمور: أنَّ المرأة ربَّما تتنازَل عن بعض حقوقها، يتزوَّج الرجُل وليس عنده المكنة من أن يُسكِّنها، وهي عندها شقَّة أو عندها بيت فتقول: أنا متنازل عن البيت وعن السُّكنَى؛ لأنَّ عندي بيتًا.

إذًا. هذا الحديث أصلٌ في أيش؟ في جواز أن تتنازل المرأة عن بعض حقوقها لزوجها، وكذلك العكس؛ يمكن للرجل أن يتنازَل عن بعض حقوقه في حقِّ المرأة.

قال:

وَعَمَلُ الْمِنْبَرُ غَيْرَ مُخْتَفِ وَحَجَّ عَتَّابٌ بِأَهْلِ الْمَوْقِفِ

طبعًا المنبَر هل عُمِلَ في السنة الثامنة أو قبلها أو بعدها؟ في هذا خلاف بين أهل السِّيَر؛ لكن المُصنِّف رجَّح أنَّ ذلك كان في السنة الثامنة.

وكان قبل ذلك النبي عَلَيْهِ ٱلصَّلَاةُ وَٱلسَّلَامُ كما في [**صحيح البُخاري**]: يخطُب عند جِذع نخلةٍ متَّكأً عليه.

قال: (**وَحَجَّ عَتَّابٌ بِأَهْلِ الْمَوْقِفِ**)؛ أي سنة؟ الثامنة حجَّ عتَّاب بن أَسِيد -أو أُسَيْد- بأمر النبي عَلَيْهِ ٱلصَّلَاةُ وَٱلسَّلَامُ بأهل الموقف.

طبعًا في هذه السنة كان المشركون أيضًا يحجُّون من مختَلف البُلدان، ولم يمنعهم النبي من الحج: إمَّا لأنَّ ذلك كان من شرط امتداد العهود والمواثِيق التي كانت بين النبي عَلَيْهِ ٱلصَّلَاةُ وَٱلسَّلَامُ وبين القبائل التي كانت موجودة حول مكة وحول الجزيرة، ومنها: قبيلة خُزاعة، وكانوا موالي النبي عَلَيْهِ ٱلصَّلَاةُ وَٱلسَّلَامُ وعَيْبة نُصحٍ وهُم على الشِّرْك.

قال: (**ثُمَّ تَبُوكَ قَدْ غَزَا فِي التَّاسِعَةْ**)؛ «غزوة تَبُوك» باتِّفاق العلماء كان في السنة التاسعة، وكان في وقت شِدَّة الحر ونُضْج الثِّمار؛ العنب، والرُّطَب، واللي نُسمِّيه الرِّقِّي -في عُرفنا-، وغيرها من الثِّمار.

قال: (**وَهَدَّ مَسْجِدَ الضِّرَارِ رَافِعَهْ**)؛ لمَّا رجَعَ النبي عَلَيْهِ ٱلصَّلَاةُ وَٱلسَّلَامُ من غزوة تبُوك أمَرَه الله تَبَارَكَ وَتَعَالَىٰ أن يهدِم مسجد الضِّرار قال: ﴿ لَا تَقُمْ فِيهِ أَبَدًا ۚ لَّمَسْجِدٌ أُسِّسَ عَلَى ٱلتَّقْوَىٰ مِنْ أَوَّلِ يَوْمٍ أَحَقُّ أَن تَقُومَ فِيهِ ۚ فِيهِ رِجَالٌ يُحِبُّونَ أَن يَتَطَهَّرُوا ﴾[سورة التوبة، من الآية:١٠٨]؛ الآيات.

وأرسل النبي رافع بن خديج فهَدَمَ المسجد الذي بناه المنافقون في بني عمرو ابن عوف في منطقة قريبة من مسجد قُباء.

قال: (**وَحَجَّ بِالنَّاسِ أَبُو بَكْرٍ**)؛ الصِّدِّيق عبد الله بن أبي قُحافة في السنة التاسعة.

وكونه الناس حجَّ بهم أبو بكر أميرًا.

(**وَثَمْ تَلا بَرَاءَةً عَلِيٌّ وَحَتَمْ**)؛ علي رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُ أرسله النبي عَلَيْهِ ٱلصَّلَاةُ وَٱلسَّلَامُ لأجل إعلان البراءة من العهود والمواثيق التي كانت بين النبي عَلَيْهِ ٱلصَّلَاةُ وَٱلسَّلَامُ وبين المُشركِين، وأنَّه لا يحجُّ بعد العام عُريانٌ ولا مُشرِك. إذًا هو ام يذهب أميرًا؛ كان أمير الحج أبو بكر؛ وإنَّما ذهب مُعلنًا.

وكان من عادة العرب أنَّ أحدهم إذا أراد أن ينقُض العهد لا يُرسل أميرًا إنَّما يُرسل قريبًا من أقاربه لإعلان نَقْض العهد.

وهذا فيه دلالة على أنَّ «براءة» أيضًا أُنزلَتْ في السنة التاسعة، وهذا باتِّفاق المُفسِّرين: أنَّ «سورة براءة» أُنزلَتْ في السنة التاسعة من الهجرة.

طبعًا هذا لا يعني أنَّ هناك آياتٍ نزلَتْ قبل ذلك.

أَنْ لَا يَحُجَّ مُشْرِكٌ بَعْدُ وَلَا يَطُوفُ عَارٍ ذَا بِأَمْرٍ فُعِلَا

وهذا الحديث في [**صحيح البُخاري**]: أنَّ عليًّا وأبا هريرة وغيرهم من الصحابة أُمِرُوا أن يُعلنوا في المشاعِرِ بأنَّه لا يحجُّ بعد العام مُشرِك، ولا يطُوف بالبيت عُريان، حتى يحُجَّ النبي عَلَيْهِ ٱلصَّلَاةُ وَٱلسَّلَامُ العام القادم ومَن معه من المسلمين حجًّا إسلاميًّا خالصًا ليس معهم أحدٌ غيرهم.

ومنذ ذلك التاريخ وإلى يومنا هذا لم يحُجَّ مُشركٌ البيت ولله الحمد والمِنَّة، ولن يحُجَّ البيت مُشركٌ إلى قيام الساعة؛ حتى لا يبقَى أحدٌ من المسلمين، فيأتي في السويقتَيْن من الحبشة فيهدم الكعبة.

قال: (**وَجَاءَتِ الْوُفُودُ فِيهَا تَتْرَى**)؛ بعد أن سَمِعَتْ العرب بأنَّ النبي عَلَيْهِ ٱلصَّلَاةُ وَٱلسَّلَامُ ومَن معه من المسلمين ذهبوا إلى غزوة الرُّوم بني الأصفر، هنا صارَتْ لهُم هَيْبة عظيمة، فجاءَتْ الوفود من شرق الجزيرة العربية من بلاد البحرين والإحساء وهَجَر، ومن جنوب الجزيرة العربية من نجران وصنعاء وعُمان، وغيرها يُظهرون الولاء، بعضهم يُظهِر الإسلام، بعضهم يُظهِر الولاء، والنبي عَلَيْهِ ٱلصَّلَاةُ وَٱلسَّلَامُ يُقِرُّهم.

قال: (**هَذَا وَمِنْ نَسَاهُ آلَى شَهْرًا**)؛ يعني: إيلاء النبي عَلَيْهِ ٱلصَّلَاةُ وَٱلسَّلَامُ وهو قوله: «**لَنْ أَقْرَبَكُنَّ شَهْرًا**»؛ كان أيضًا في السنة التاسعة، والحديث في [**صحيح البُخاري**] من حديث عائشة رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهَا قالت: آلَى النبي عَلَيْهِ ٱلصَّلَاةُ وَٱلسَّلَامُ من نسائه شهرًا، فلمَّا كان ليلة الثلاثِين دخَلَ عليَّ فقلتُ: يا رسول الله، لقد آلَيْتَ شهرًا، وإنَّا في ليلة الثلاثِين. فقال: «**الشَّهْرُ هَكَذَا... وَهَكَذَا... وَهَكَذَا**».

قال: (**ثُمَّ النَّجَاشِيَّ نَعَى وَصَلَّى**)؛ يعني: النجاشي أيضًا مات في السنة التاسعة فنعاه النبي عَلَيْهِ ٱلصَّلَاةُ وَٱلسَّلَامُ والحديث في الحديث؛ فقال بعض الصحابة: أتُصلِّي على هذا العلج؟ فقال النبي عَلَيْهِ ٱلصَّلَاةُ وَٱلسَّلَامُ: «**أَمَا إِنَّهُ مَاتَ مُؤمِنًا**» وفي رواية: «**مَاتَ مُسْلِمًا**»؛ وهذا فيه دلالة على أنَّ الملك وهو ملك إذا لام يستطع إظهار دِينه فإنَّه يجوز له أن يحكُم في المُلْك ولو لم يستطع إظهار دِينه.

بعض الناس اليوم لا يُعذِر أحدًا، وهذا من عجائب أمر الناس، النبي عَلَيْهِ ٱلصَّلَاةُ وَٱلسَّلَامُ أمَرَ ملك النجاشي وهو لم يُظهِر إسلامه، وهؤلاء الناس لا يعذرون أحد.

قال: (**ثُمَّ النَّجَاشِيَّ نَعَى**)؛ أي: لأصحابه.

(**وَصَلَّى**)؛ أي: أمرَهم أن يُصفُّوا كما يصفُّون لصلاة الجنازة، فصلَّى عليه.

هذه فيها فائدة وهو قول بعض الفقهاء -وإليه أميل-: أنَّ صلاة الغائب لا تكون إلَّا بأمرٍ من الحاكم؛ لأنَّ النبي عَلَيْهِ ٱلصَّلَاةُ وَٱلسَّلَامُ مات عدد من الصحابة ولم يُصلِّ عليهم صلاة الغائب وهو لم يشهَد جنازتهم، فلمَّا مات النجاشي صلَّى عليه؛ فهنا العِلَّة مركَّبة:

- **الأول**: أنَّه له مكانة عند المسلمين؛ لأنَّه حَمَى المسلمين.
- **والثاني**: أنَّه أمَرَ به النبي عَلَيْهِ ٱلصَّلَاةُ وَٱلسَّلَامُ.

فإذًا رجُل له مكانة عند المسلمين مثل: مات ابن باز فأمَرَ وليُّ الأمر بصلاة الجنازة عليه.

مات وليُّ الأمر، وكان له مكانة في سبب الأُلفة والمحبَّة والمودَّة ووحدة الكلمة؛ فأمَرَ الحاكم بعده بالصلاة عليه -مثلًا-، ونحو ذلك؛ فنرجو أنَّ هذا لا بأس به.

ومن أهل العلم -وهُم الشافعيَّة- يرون مُطلَقًا صلاة الجنازة على أي أحد.

ومن أهل العلم مَن يقول: لا يُصلَّى إلَّا على مَن مات ولم يُصلَّ عليه. والله أعلم.

قال:

وَمَاتَ إِبْرَاهِيمُ فِي الْعَامِ الْأَخِيرْ وَالْبَجَلِيْ أَسْلَمَ وَاسْمُهُ جَرِيرْ

(**مَاتَ إِبْرَاهِيمُ فِي الْعَامِ الْأَخِيرْ**)؛ يعني: في آخر العام التاسع؛ معناه: أنَّه كان في السنتين لمَّا تُوفِّي.

(**وَالْبَجَلِيْ**)؛ يعني: جرير بن عبد الله البَجَلِي سيد من سادات بُجَيْلة، كان من أجمل العرب، ومن فُرسان العرب، ومن نُجباء العرب، ومن أكرم العرب، أسلم في السنة التاسعة في آخرها؛ ولذلك جاء الحديث في الصحيح: أنَّه كان يمسح على جواربه، فيُعجب ذلك الصحابة، ويُعجب ذلك الفقهاء، ويُعجب ذلك الإمام أحمد؛ لماذا؟

لأنَّهم يعلمون أنَّ أبو جرير أسلم في السنة التاسعة، فلمَّا يمسَح عَلِمَ أنَّ آيات «المائدة» أُنزِلَتْ قبل؛ اللي هو ﴿فَٱغْسِلُوا۟ وُجُوهَكُمْ وَأَيْدِيَكُمْ إِلَى ٱلْمَرَافِقِ وَٱمْسَحُوا۟ بِرُءُوسِكُمْ وَأَرْجُلَكُمْ﴾ [سورة المائدة، من الآية:٦]؛ فعَلِموا أنَّ المسح ليس بمنسوخ.

قال: (**وَحَجَّ حِجَّةَ الْوَدَاعِ قَارِنًا**). (**حِجَّةَ**) و(**حَجَّةَ**)؛ يجوز.

(**قَارِنًا**)؛ وهذا هو الصحيح من أقوال أهل العلم: أنَّ النبي عَلَيْهِ ٱلصَّلَاةُ وَٱلسَّلَامُ حجَّ قارنًا؛ وأمَّا مَن قال: حجَّ متمتِّعًا. فهو يقصِد القِران؛ وإلَّا فبالاتِّفاق لم يتحلَّل بين العُمرة وبين الحج.

وأخطأ مَن ظنَّ أنَّه حجَّ مُفرِدًا.

وقول عائشة: أنَّهم حجُّوا مُفرِدِين. يقصد يعني: في ابتداء الأمر.

قال: (**وَوَقَفَ الْجُمْعَةَ فِيهَا آمِنًا**). (**الْجُمْعَةَ**)؛ يعني: الوقوف بعرفات، تُسمَّى «جمعًا، وجُمعةً»، و«جمعًا» يعني: باعتبار الجَمْع؛ ويُسمَّى يوم عرفة «يوم الجَمْع»، ويُسمَّى أيضًا عند بعض العلماء بـ«الحج الأكبر».

قال:

وَأُنْزِلَتْ فِي الْيَوْمِ بُشْرَى لَهُمُ ﴿ٱلْيَوْمَ أَكْمَلْتُ لَكُمْ دِينَكُمْ﴾

وهذا باتِّفاق العلماء أنَّ هذه الآية نزلَتْ في حجة الوداع في يوم الجُمعة في جمعٍ في عرفات كما قال عُمر في [**صحيح البُخاري**].

وهل يجوز تضمين الآيات في بعض الأبيات شِعرًا أو لا يجوز؟ في ذلك خلافٌ بين العلماء والفقهاء، والصحيح: جوازه إذا كان بعض آية، ولا يكون أن يكون كل الآيات في النَّظْم.

قال: (**وَمَوْتُ رَيْحَانَةَ بَعْدَ عَوْدِهْ**)؛ يعني: ماتت في هذه السنة رَيْحانة، وهي بنت زيد كما مرَّ معنا.

(**وَالتِّسْعُ عِشْنَ مُدَّةً مِنْ بَعْدِهْ**)؛ وهذا باتِّفاق العلماء أنَّ النبي عَلَيْهِ ٱلصَّلَاةُ وَٱلسَّلَامُ لمَّا مات؛ مات عن تِسعٍ من نسائه.

طبعًا آخر نساء النبي عَلَيْهِ ٱلصَّلَاةُ وَٱلسَّلَامُ وفاةً الصحيح من أقوال أهل العلم: أنَّ آخر نساء النبي عَلَيْهِ ٱلصَّلَاةُ وَٱلسَّلَامُ وفاةً هي عائشة. وأخطأ مَن ظنَّها أم سَلَمَة.

قال:

وَيَوْمَ الاِثْنَيْنِ قَضَى يَقِينَا إِذْ أَكْمَلَ الثَّلَاثَ وَالسِّتِّينَا

هذا بالإجماع أنَّ النبي عَلَيْهِ ٱلصَّلَاةُ وَٱلسَّلَامُ وُلِدَ يوم الاثنين، ومات في يوم الاثنين، وإن تعجَب فاعجَب ممَّن يحتفل بميلاد النبي عَلَيْهِ ٱلصَّلَاةُ وَٱلسَّلَامُ وهو يعلم أنَّه في نفس اليوم مات؛ هذا دليل على الهوى، لو كان جاز الاحتفال كان يجوز الاغتمام، ليس الاغتمام بأَوْلَى من الاحتفال، فلمَّا اختاروا الاحتفال وتَركوا الاغتمام علِمنا أنَّ القضية قضية هوى.

(**وَيَوْمَ الاِثْنَيْنِ قَضَى يَقِينَا**)؛ وكان هذا مساء الاثنين.

(**إِذْ أَكْمَلَ الثَّلَاثَ وَالسِّتِّينَا**)؛ أمَّا أنَّه أكمل الثلاث والستِّين هذا بالاتِّفاق، طبعًا بالأشهُر العربية، مات يوم الاثنين، ودُفِنَ في يوم الثلاثاء ليلة الأربعاء، وبَقِيَ كذلك حتى يتيقَّن الناس موته، ما هو مثل ما يروون بعض الناس؛ بعض الناس ماذا يكتب عياذًا بالله؟ مثل ما يقول أبو الأعلى المودودي وغيره في كتابه [**المُلْك والخلافة**] يقول: مات النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ واشتغلوا بالمُلْك. هذا الكلام غير صحيح؛ إنَّما أخَّروا دَفْنه ليستيقِنَ الناس موته.

تخيَّلوا معي الآن أنَّه مات الاثنين، ودُفِنَ في يوم الثُّلاثاء ليلة الأربعاء، وشَهِدَ ذلك العباس والفَضْل، وكذا وكذا وكذا؛ ومع ذلك الناس يتكلَّمون أبي بكر؛ فكيف لو دُفِنَ في نفس الليلة؟ يقولون: دفنوه حيًّا. هذه حِكمة.

والحِكمة الأُخرى: لأجل أنَّ الخليفة هو الذي يأمُر في مثل هذه الأمور.

فلمَّا بُويعَ أبي بكرٍ في صبيحة يوم الثُّلاثاء ظُهرًا في مسجد النبي عَلَيْهِ الصَّلَاةُ وَالسَّلَامُ وصار الأمر علنًا؛ حينئذٍ أمَرَ بغَسْله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، وأمَرَ بكَفْنه -صَلَوَاتُ رَبِّي وَسَلَامُهُ عَلَيْهِ-، وأمَرَ بدَفْنه في بيت ابنة الصِّدِّيق.

(**وَالدَّفْنُ فِي بَيْتِ ابْنَةِ الصِّدِّيقِ**)؛ عائشة، وهذا بالاتِّفاق، وهذه مكرُمة لعائشة أنَّ الله جَلَّ وَعَلَا قَبَضَ رُوح خليله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ في بيت الصِّدِّيقة.

(**فِي مَوْضِعِ الْوَفَاةِ عَنْ تَحْقِيقِ**)؛ وهذا في هذا حديث عن أبي بكر الصِّدِّيق -رَضِيَ اللهُ تَعَالَى عَنْهُ- قال لمَّا اختلَفَ الصحابة أين يُدفَن النبي عَلَيْهِ الصَّلَاةُ وَالسَّلَامُ؟ قال: إِنَّني عندي في هذا علمًا؛ سمعتُ النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ يقول: «**إِنَّا مَعَاشِرَ الْأَنْبِيَاءَ نُدْفَنُ حَتَّى نُقْبَض**» أو كما قال.

قال: (**وَمُدَّةُ التَّمْرِيضِ خُمْسَا شَهْرِ**). (**خُمْسَا شَهْرِ**)؛ كم؟ قسِّم الثلاثين على خمس! ستة أيام.

(**وَقِيلَ بَلْ ثُلْثٌ وَخُمْسٌ فَادْرِ**)؛ ورجَّح الحافظ ابن حجر أنَّه مَرِضَ ثلاثة عشر يومًا.

وأمَّا (**خُمْسَا شَهْرِ**)؛ فيكون معناه: أنَّه مَرِضَ الأربعاء، والخميس، والجُمعة، والسبت، والأحد؛ ومات الاثنين. هذا على قول مَن قال: (**خُمْسَا شَهْرِ**).

وأمَّا على قول مَن قال: (**بَلْ ثُلْثٌ وَخُمْسٌ**):

ثُلث الشهر: عشرة أيام أو تسعة.

والخُمس (خُمس الشهر): أربعة أيام أو ثلاثة.

يعني: ثلاثة عشر. وهذا هو الذي رجَّحه الحافظ ابن حجر.

وقِيل: خمسة عشر.

قال: (**وَتَمَّتِ الْأُرْجُوزَةُ الْمِيئِيَّةْ**). (**مِيئِيَّةْ**)؛ نِسبة إلى أنَّها هذه الأرجوزة مائة بيت.

وقال: (**فِي ذِكْرِ حَالِ أَشْرَفِ الْبَرِيَّةْ**).

وجزاه الله خيرًا! فقد لخَّصَ لنا السِّيرة بمُلخَّصٍ لطيفٍ ينبغي علينا أن نُحفِّظ أولادنا مثل هذه الأرجوزات حتى يكونوا على علمٍ ودِراية بأحوال النبي عَلَيْهِ ٱلصَّلَاةُ وَٱلسَّلَامُ، وبما كان عليه أشرف البرِيَّة صَلَوَاتُ اللهِ وَسَلَامُهُ عَلَيْهِ.

والبرِيَّة: مصدر صناعي للبرايا وهُم: المخلوقات؛ فالنبي عَلَيْهِ ٱلصَّلَاةُ وَٱلسَّلَامُ أشرف المخلوقات.

قال: (**صَلَّى عَلَيْهِ اللهُ رَبِّي**)؛ اللهُمَّ صلِّ وسلِّم عليه.

(**وَعَلَى أَصْحَابِهِ وآلِهِ وَمَنْ تَلَا**).

ونسأل الله عَزَّوَجَلَّ أن يتقبَّل منَّا ومنكم، وشكَرَ الله لكم حُسن الاستماع، وأُجيزكم أن تروا عنِّي هذه [**الأُرْجُوزَةُ الْمِيئِيَّةُ**].

وصلَّى الله وسلَّم وبارَك وأنعَم على نبيِّنا محمد وعلى آله وصحبه أجمعين.

والحمد لله رب العالمين.

هناك بعض الأسئلة -بارك الله فيهم-:

السؤال الأول: أحسن الله إليكم شيخنا، ما هي الطريقة المُثلَى في ضَبْط فن السِّيرة، وكيف التدرُّج فيها؟

الجواب: الطريقة المُثلَى: أنَّ الإنسان يحفظ في هذا متنًا.

فإن كان يستطيع النَّثْر يحفظ النَّثْر، وإن كان لا يستطيع يحفظ النظم؛ فيبدأ -مثلًا- بـ [**نُخبة الأفكار**]، ثم يبدأ بكتاب أوسَع مثل [**الرحيق المختوم**]، ثم يرتقي فيقرأ [**مختَصَر سِيرة ابن هشام**]، ثم يرتقِي فيقرأ [**المغازي**] لابن إسحاق، ثم يرتقِي فيقرأ كتاب [**البداية والنِّهاية**] من ميلاد النبي عَلَيْهِ ٱلصَّلَاةُ وَٱلسَّلَامُ وحتى وفاته.

سؤال الثاني: أحسن الله إليك، هل صحيح أنَّ عائشة رَضِيَٱللَّهُعَنْهَا أُصِيبَتْ في كِبرها بالعَمَى؟

الجواب: لا أعلم أنَّها أُصِيبَتْ بالعَمَى في آخر عُمرها، ولا أيُّ امرأةٍ من نسائه -صَلَوَاتُ اللهِ وَسَلَامُهُ عَلَيْهِ-؛ المعروف أنَّ هذا حصل لبعض الصحابة، كابن عباس، وقِيل: جابر. وقِيل غيرهم؛ أمَّا عائشة لا أعلم.

سؤال الثالث: أحسن الله إليك، قال الإخوان -بارك الله فِيهم-: كَتَبَ الله أجركم شيخنا الحبيب؛ ممكن نصيحة تُقدِّمونها لطُلَّاب قناة مجالس العلم النافع الجزائريَّة، وقد شرعوا في سلسلةٍ لكم محاضرات أحكام الشِّتاء!

الجواب: أنصح نفسي وإخواني جميعًا، والذين في هذه القناة المباركة أن نتدارَس في فقه الوقت؛ فشكَرَ الله لهُم مدارستهم لأحكام الشتاء؛ لا سيَّما وهُم في الشتاء.

لكن نحن أيضًا مقبلون على شهر الصيام؛ فأنصحهم على مدارسة أحكام الصيام إذا جاء وقت الصيام، وهكذا يتقلَّب الإنسان من فقهٍ إلى فقه حتى يتعلَّم الفقه بأصوله استدلالًا، واستنباطًا.

وأوصِيهم جميعًا بالمذاكرة والمُدارسة في العلم؛ فإنَّ المذاكرة والمدارَسة في العلم أوسَع بابٍ وأسرع بابٍ مُوصلٍ إلى رِضوان الله تَبَارَكَ وَتَعَالَىٰ وجنَّاته كما قال النبي عَلَيْهِ ٱلصَّلَاةُ وَٱلسَّلَامُ: «**مَنْ سَلَكَ طَرِيقًا يَلْتَمِسُ فِيهِ عِلْمًا سَهَّلَ اللهُ لَهُ بِهِ طَرِيقًا إِلَى الْجَنَّةِ**».

وصلَّى الله وسلَّم على نبيِّنا محمد وعلى آله وصحبه.

سؤال: في البيت الثامن والتسعين: (خُمْسَا)؛ الألف ليست «ألف الاثنين»؟

الجواب: إي ممكن صح، يكون عشرة أيام (**خُمْسَا شَهْرِ**)؛ يعني: ستة وستة؛ اثنا عشر يومًا.

(**وَقِيلَ بَلْ ثُلْثٌ**)؛ نعم، أحسنت! يحتمل نعم.

(**خُمْسَا شَهْرِ**)؛ أنا قرأتها «خُمس شهرٍ». إي، كلامك صحيح، مع أنَّها بالخط الكبير، ما قمنا نشوف.

سُبحانك اللهُمَّ وبحمدك، أشهد أن لا إله إلَّا أنت، أستغفرك وأتوب إليك.